شرح وبيان

لآيات قرآنية وأحاديث نبوية وحكم علوية

تأليف

مستمد الدعاء من الإخوان

عبد الله بن علي القذان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[تقديم السيد العلامة المجتهد محمد بن عبدالله عوض]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين

وبعد فقد تصفحت صفحات هذا الكتاب فوجدته متركزه على انتعاش القلب وحياته بالإيمان والتقوى ومنصبّة على صلاحه وتزكيته، ولا يخفى أن القلب هو مركز الإيمان والتقوى وإذا لم يتعاهده صاحبه بالموعظة والتذكير ضعف ثم يزداد ضعفه ثم يموت وبذا اشتمل هذا الكتاب على مواعظ تنعش القلب وتحييه وتوقظه لا يستغني عنه عالم ولا متعلم فجزى الله مؤلفه خير الجزاء والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين

٩/ ذي الحجة/ ١٤٣٩هـ

محمد عبدالله [illegible] عوض

[تقديم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، وبعد:

القلوب بحاجة لما يحييها من الوعظ والتذكير وإلا تواردت عليها أسباب القساوة من هموم الدنيا وشواغلها، وعند ذلك تثقل الطاعة على جوارح الإنسان، وكان خير البشرية صلى الله عليه وآله وسلم يلتمس ذلك من أكثر أصحابه في بعض الأوقات، وقد وعظهم يوماً بما يدل على ذلك قائلاً: ((أيها الناس، كأن الموت فيها على غيرنا كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن الذي نشيّع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون، نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم، وكأنا مخلدون بعدهم، نسينا كل واعظة، وأمنا كل جائحة..)) إلى آخره.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما رأيت مثل الجنة نام طالبها، ولا مثل النار نام هاربها)).

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن قساوة القلوب وغفلتها بقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴿٢١﴾﴾ [الحشر].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إن الله جعل الذكر جلاءً للقلوب تسمع به بعد الوقرة، وتبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة). وقال لولده الحسن عليهما السلام: (أحي قلبك بالموعظة).

فلا بد أن يكره الإنسان نفسه على قبول المواعظ، ويكرهها على الذهاب إلى مجالس الذكر ومدارس العلم.

ولما كانت النصيحة في دين الله من أفضل القرب ومن أعز الهدايا- استخرت الله وجمعت في هذا الكتاب ما تيسر لي جمعه من آيات الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وحكم أمير المؤمنين عليه السلام، وشرحت ذلك بما جادت به معرفتي على قصور الباع، وقلة الزاد، غير أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق:٧].

أسأل الله العظيم البر الرحيم أن ينفع به طلبة العلم من المؤمنين والمؤمنات والمرشدين والمرشدات، وسائر المؤمنين والمؤمنات، إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

قسم الآيات القرآنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران:١٨]:

تشريف من الله لأوليائه العلماء الذين علموا وعملوا وأخلصوا فقد شهد لهم رب العالمين جلت عظمته بأنهم وحَّدوا خالقهم ودانوا في حقه سبحانه بالعدل الذي يرضاه جلت عظمته.

العلماء هنا هم الذين قال سبحانه في شأنهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]، والذين عناهم بقوله: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، العلماء الذين قرن شهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة هم أولئك المصابيح لكل ظلمة، نجوم الزمان وحجج الله في كل مكان، الذين بذلوا رخيصهم والغالي في طاعة الله يذكِّرون بأيام الله ويهتفون بالزواجر في أسماع الغافلين كما قال أمير المؤمنين، هم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، هم الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم.

بذلوا رخيصهم والغالي في نشر دين الله القويم،وفي قضاء حوائج الضعفاء والمساكين، ضالتهم المنشودة إصلاح الناس وتعليمهم، شرهم مأمون، وخيرهم مأمول، نصائحهم تشفي من أمراض الجهل القاتلة، ومجالستهم تنسي عن الدنيا وتذكر بالآخرة، النظر في وجوههم عبادة، مجالسهم ترفع الوضيع، وتبرئ السقيم، وتغني الفقير، إذا مات أحدهم أورث موته ثلمة لا تنسد، وظلمة لا تنجلي، وخراباً لا يعمر.

تبكي عليهم ملائكة السماء وتلك البقاع التي حلوها وسكنوها، أمثالهم في القلوب موجودة وأعيانهم مفقودة كما قال الوصي.

جمع الله بيننا وبين أوليائه العلماء في مستقر رحمته ودار كرامته إنه على ما يشاء قدير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر]:

لله الحمد والمنة على عطائه الجزيل، لقد أكرم الله بهذه السورة الكريمة خاصة وبالقرآن الكريم عامة نبيه صلوات الله عليه وآله، وأهان بها أعداء النبي إلى يوم القيامة.

نعم، كان أعداء الله وأعداء رسوله يتفننون في الشتائم لرسوله ويتباهون بالكلمات الجارحة لقلبه، ويعدون ذلك من البلاغة ورجاحة العقل، فالسيد المطاع عندهم من لفت أنظار المجتمع بكلامه المهين لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الكذب والافتراء والسب والاستهزاء، يعدون ذلك من المكاسب الكبار، وهذا ديدنهم على مدى أيامه ولا سيما في مكة، وقد علموا وتيقنوا لا سيما الكبار الأشرار منهم أن ما جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الوحي قرآن لا يشكون في ذلك ولا يمترون فلما قال

عدو الله الشانئ: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا مات انقطعت أخباره وانقرض نسله مسلياً لنفسه ولأمثاله من المجرمين- رد عليهم مالك الملك الذي يؤتي الملك من يشاء وجعل وسام الإهانة والخزي والإذلال في أعناقهم يتجرعون مرارة الندامة على مقالتهم.

أراد عدو الله الكافر أن ينظر الناس ذلك الحين في مكة إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويقولون: هذا الأبتر، وإذا بأنظارهم ترمقه قائلة: هذا الأبتر، وهذا الشانئ لمحمد، نزل فيه قرآن قلده العار والشنار، وصدق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((من أراد أمراً بمعصية الله كان أبعد له مما رجى وأقرب له مما اتقى)).

ولهذه القصة نظائر في كتاب الله الكريم لما قال المشركون: إن الله سبحانه وتعالى قد ودع رسوله وقلاه، عبروا بهاتين الكلمتين أنها انتهت أكاذيب محمد وافتراآته، أرغم الله آنافهم وصب عليهم الهموم صباً بقسم الله لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما ودعه الله وما قلاه، قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَالضُّحَى۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى۝٣ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى۝٥﴾.

وبمثل قوله تعالى رداً على أعداء الله المنافقين لما طفح الغيظ من قلوبهم وخرجت الضغائن من أفواههم قائلين: ﴿لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ [المنافقون:٨]، فقلدهم الله الخزي والعار قائلاً سبحانه وتعالى ومنعماً على رسوله والمؤمنين: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ۝٨﴾ [المنافقون].

نعم، عودة إلى سورة الكوثر الكريمة: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ۝١﴾ أكد الله لخير خلقه بـ«إنا» والتعظيم بلفظ «إنا» وأعطينا عطاءه العظيم وكرمه الجسيم مما لا يقدر قدره ولا يتأتى لبشر حصره من المعجزات الباهرة، وقد سمعت من إمام زماننا الراحل سلام الله عليه سيدي مجدالدين بن محمد أن معجزات رسول الله زهاء ثلاثة ألف معجزة أعظمها القرآن الكريم، ومن ذلك ذكره عند الملأ الأعلى قبل خلق البشر، وكذلك إخبار جميع الأنبياء به صلوات الله عليه وآله، ومن ذلك كثرة ذريته المباركة التي لا تكاد تنحصر، هداة الأمة في كل زمان، صلوات الله عليهم أجمعين، ومن ذلك كثرة ترداد ذكره على الألسن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فلا يكاد يخلو وقت من

الأوقات من ذكره على ألسن المصلين والذاكرين، ومن ذلك كثرة ذكره في كل نداء للصلوات، ومن ذلك كثرة أتباعه إلى يوم القيامة، أما في الآخرة فمفاتيح الجنة بيده على حوضه ﷺ عدد نجوم السماء قدحان من شرب منه لا يظمأ.

فلما كمم الله أفواه الكافرين وكادت الصاخة بالكوثر تفجر قلوب الحاقدين والشانئين طلب منه الشكر بعظيم من الأمر جزاءً على تلك النعمة التي سدت كل طريق للذم من أعداء الله الكافرين،

قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢﴾ الصلاة عماد الدين لأنها شملت كل خير من الطهارة والتوحيد والحمد والثناء على الله بما هو أهله والركوع والسجود والشهادتين وكونها تؤدى في بيوت الله وغيرها، وتؤدى في الفجر وفي الظهر والعصر والمغرب والعشاء في كل يوم وليلة، وينادى لها بصوت رفيع وأنها خير الأعمال، أمر سبحانه وتعالى رسوله أن يؤديها شكراً على نعمه ووفاء بحقه، وأردفها بنحر الإبل والتقرب إليه سبحانه بالدماء التي تراق في مكة ومنى، قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج:٣٧].

ثم قال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ۝٣﴾ من وقت العلم بك أنك رسول الله إلى منقطع التكليف، أين ذهب ذكر قريش الكفار، وأمية الأشرار، وكذلك من عادى وقاتل أئمة الهدى الأخيار؟!! أصبحت رياحهم راكدة، وأصواتهم هامدة، وانقطعت أخبارهم، وبقيت الذنوب والويلات في صحائفهم. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ۝٩٦﴾ [الأعراف].

سنة لبني آدم متبعة في ركوب الغي والتمرد والعصيان وإتيان البيوت من غير أبوابها ومن أصدق من الله قيلاً، ومن أصدق من الله حديثاً.

اشترط الله للحياة الطيبة ورغد العيش الإيمان الصادق من قلوب المكلفين، والتقوى المطلوبة للطيف الخبير مقابل أن يفتح الله عليهم بركاته من سمائه وأرضه في ليله ونهاره، وبره وبحره، فلا قطرة مطر، ولا ذرة ريح من سمائه نازلة إلا مصاحبة للبركة، حتى الشمس المشرقة تعم بركتها أجسام الحيوانات والمكلفين،

والريح المرسلة تكون عافية وبركة، وكذلك ما يخرج من الأرض، وما هو مخزون فيها من المياه يطرح الله في جميع ذلك من البركة ما لا يقدر قدره، رحمة من الله لأوليائه، ومنَّة من الكريم على أحبائه، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون.

البركة من أرزاق العصاة منزوعة، فلا بركة في مطر ولا في ثمر، أكلهم منزوع البركة، ومشربهم كذلك ودوابهم عقاباً لهم من الله عاجلاً، مطرهم قيض وأولادهم غيظ، والحال ما نشاهده في هذا الزمان من المصائب والأهوال والحروب الطاحنة والفتن العائمة والفقر المنسي والغنى المطغي، لا راحة في القلوب يهدأون لها بل هم في شدة وعناء وهمّ وغم، غنيهم فقير وإن ملك الأموال، ومعافاهم سقيم، وآمنهم خائف، يشكون من أهلهم وأولادهم كما يشكو المظلوم، ويخافون من الفقر خوف المحكوم عليه بالقتل، وما سبب ذلك إلا فقد التقوى واليقين.

تركوا عزهم وركنوا إلى الشيطان الرجيم، شيخهم غاوٍ وشابهم ضال، كما قال أمير المؤمنين، الذاكر لله عدوهم إذا رأوه، والمؤمن بينهم غريب وإن كان في وطنه وبين أهله، فلا حرمة عندهم لكبير، ولا رحمة منهم لصغير، يعظمون الفسقة وأهل اللهو كما يعظم المؤمنون أولياء الله، حين سئل القاسم الرسي عليه السلام: ما الناس؟ قال: «اثنان، سُفُل ونبل، فلا السفل لهم قدر عند النبل، ولا النبل لهم قدر عند السفل»، وقد أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قال:

((يأتي على الناس زمان يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر))، ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((إن المؤمن في آخر الزمان يمر بقبر أخيه فيقول: يا ليتني مكانك)) فلولا ما وعد الله الصابرين لتفجرت قلوب المؤمنين غيظاً مما يرون ويشاهدون ويسمعون، غير أن الله وعد الصابرين أجراً عظيماً.

يقرأون آيات التشويق فينسون متاعب الدنيا وهمومها، قد شغلوا أنفسهم بأنفسهم حتى زهرت مصابيح الهدى في قلوبهم، ونطقت بدرر الحكم ألسنتهم فهم كما قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (رياحين كل قبيلة ومصابيح كل ظُلْمة).

اللهم اجعلنا من أوليائك ومن حزبك، ومن دعاتك يا أرحم الراحمين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]:

دلت هذه الآية الكريمة على أن الخير الكثير والحظ الكبير في كل ما استثقلته النفوس من الطاعات، وأنه يجب عند ذلك مجاهدة النفس الأمارة بالسوء، وأنه يجب الإخلاص فيما يراد به وجه الله والدار الآخرة؛ بدليل: ﴿جَاهَدُوا فِينَا﴾.

نعم، وعد الله من جاهد نفسه في طاعة الله ومرضاته الهداية لسبل الخير فلا تيسير لسبل الخير إلا بعد العناء والجهد الجهيد

ومجاهدة النفس، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى۝٧﴾ [الليل].

هذا، ولنعلم أنه لا بد من الاختبار والتمحيص في كل عمل من طاعات الله أمرنا به، مثلاً الإنسان عندما يمنحه الله وجاهة وقبولاً في قلوب الطلبة بحيث إنهم لا يرغبون في تلقي الدروس إلا منه ويحبون الدنو منه ويرضون توجيهاته وهو سعيد بذلك، فلا بد له من الابتلاء والاختبار في عمله، وذلك أن يأتي يوم من الأيام وقد تغيرت طباعه وساءت أخلاقه فلا يبالي بطلبته في أي وادٍ هلكوا، أو طريق سلكوا، وتلك هي نقطة الامتحان الحقيقية التي مدح الله المجاهدين لأنفسهم فيها، فإن هو جاهد نفسه في تلك النقطة وما شاكلها فالجزاء كما وعد الله عظيم، وإن هي غلبته فالخسارة باهظة تأكل ربحه ورأس المال.

نعم، ليس كل من زرع حصد فالخصائص المحمودة لا يمنحها الله جلت قدرته إلا لبعض الناس ولا تحصل لكل من طلبها فبعض الناس يمنحه الله قبولاً لقبول كلامه وتلقي النصائح من لسانه يكون سديداً في مصالحته بين الناس فكل يقبل نصيحته ويرتضي طريقته، فإن هو جاهد نفسه لبذل النصائح مع إخلاصٍ في قلبه وصدق من صميم فؤاده، وإلا سلب الله تلك النعم وتحولت محبته في القلوب إلى كره، ورفعته إلى ضعة، وعزته إلى ذلة، وغناه إلى فقر؛ لأنه قابل تلك النعمة والمنحة بالرد، وقد أخبره مولاه أنه لا بد من الجهاد لنفسه فيما تستكره، أما فيما تحب فليست بحاجة إلى جهاد وعناء.

وأراد الله منه أن يكون راعياً وهو مسؤول عن رعيته، نعم هو وما استرعاه الله من العمل بمثابة سائر في طريق طويلةٍ ومحبوبهُ ومطلوبه في نهايتها غير أن فيها بعض المتاعب من صعود وهبوط فإن هو تحمل السفر مع تلك المتاعب وصل إلى محبوبه، وإن هو غيَّر اتجاهه فلن يزداد من محبوبه ومطلوبه إلا بعداً.

كذلك الداعي إلى دين الله والقاضي حوائج الناس والمدرس لكتب العلم والمصلح بين الناس وكل من يتولى إدارة عمل ديني وغير ذلك فلا يحصل على الخير الكثير إلا بعد التعب والعناء والاستمرار والمواصلة حتى يصل إلى غايته وبغيته وضالته المنشودة، نسأل الله العون والتوفيق والهداية إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

الموافق ١٢/ رجب/ ١٤٣٩هـ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ويقول الله تقدست أسماؤه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان]:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ العض هنا كناية عن الندم الذي بلغ منتهاه، ندمٌ في وقتٍ علم صاحبه أنه من أهل النار قطعاً، ندمٌ لا يعقبه فرح ولا سرور بل يعقبه العذاب الأليم وأنواع الشرور،

وفي حال الندم يأتي المظلومون يطالبونه بحقوقهم من أعراضٍ هتكها وحرمٍ انتهكها وحقوقٍ للضعفاء والمساكين اغتصبها.

نعم، المستبد بميراث أرحامه في ذلك اليوم أذل من الأمة، الذي كان في الدنيا يحمر وجهه إذا طولب، آثر به أولاده وزوجته، وأرحامُه في أمس الحاجة إليه، وآخر غالَطَ أبناءَ مجتمعه في حقوقهم وأراضيهم وأموالهم يحسب أنه محق إذا لم يعلموا، نسي مراقبة الله عليه وأنه يعلم السر وأخفى.

ألا تسمع لمقالة من هذا حاله: ﴿وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴿٤٩﴾﴾ [الكهف].

ثم قال تعالى: ﴿يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴿٢٧﴾﴾ عند ذلك علم حينئذ أن الرسول جاء بدين قويم وصراط مستقيم، وأن الذي كانت عيناه تزدريهم هم الذين أصابوا وأفلحوا ونجحوا، هم أصحاب الفوز العظيم والرأي السديد.

ولما كان المؤمنون يعاملون أعداء الدين في هذه الدنيا برفق وإغضاء عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان]، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان]، ظن أعداء الله أن الأمر على ما كانوا يعهدون في الدنيا فنادوا الفائزين برضوان الله قائلين: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ

الْغَرُورُ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴿١٥﴾﴾ [الحديد]، عند ذلك يعلم ويتيقن كل ظالم بالهلاك، ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة].

وفي تلك المواطن يتذكر من أغواه قائلاً: ﴿يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴿٢٩﴾﴾ تذكر شيطانه من الإنس، الذي آثر رضاه على رضا الله، تذكر قرينه الذي زين له المعاصي، زين له ظلم نفسه وظلم الناس أو أحدهما قائلاً: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾، الشيطان لعنه الله شريك للظالم في إضلال نفسه، وهو الذي جعل للشيطان مدخلاً عليه؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف]، ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾ الآية [إبراهيم:٢٢]، انظر في حال من أطاع الشيطان هذا حاله.

نقطة مهمة ينبغي على كل عاقل أن يمعن بنظره فيها، وهي: أن الكثير والجم الغفير إذا مرّت ومشت له المغالطة وإن كان من المحافظين على الصلوات وفي جماعات والبعض يكونون طلبة علم فلا يبالي بمراقبة علام الخفايا وخصَّاص الضمائر، وكأن الذي يتولى

أمره ومحاسبته يوم القيامة هم الذين تسَتَّر عنهم وأوهمهم، وما ذلك إلا لقلّة الدين واليقين، وعدم المعرفة برب العالمين وإلا لتاب عند الله واعتذر عند من ظلمه في نفسه أو حقه، ولم يبال بقول القائلين، فالله هو الذي يرفعه مع التوبة النصوح وإن أراد الناس ضعته ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل].

نسأل الله الخلاص من حقوق خلقه، وأن يقبل توبتنا، ويغفر ذنوبنا، وأن يختم لنا بالحسنى، ويوفقنا للتي هي أزكى، إنه على ما يشاء قدير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر]:

لله الحمد والمنة على رحمته الواسعة ونعمه السابغة: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ سبحانك يا أرحم الراحمين وجل شأنك يا أكرم الأكرمين ما أرأفك بعبادك حين ناديت المسرفين بألطف نداء، ونهيتهم ألا يقنطوا من رحمتك، وفرجت عنهم الشدائد بإخبارك أنك تغفر الذنوب جميعاً، فما عذر الإنسان إذا تمادى في غيِّه، وتعامى عن كرم ربه وهل بقي عذر لعاصٍ أو حجة.

يتحبب إلينا ربنا ويستر في هذه الدنيا فضائحنا، وعلينا تغدو نعمه وتروح من غير حاجة منه إلينا أو لعبادتنا، ما أقل حياء من ترك هذا العرض الرباني والخبر القرآني.

نعم، أجمل الله هنا ذكر المعاصي بقوله: ﴿أَسْرَفُوا﴾ فالإسراف هنا يتناول كل ذنب مما تجب فيه التوبة من الشرك فما دون؛ بدليل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ وأكد ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ۝٥٣﴾.

فأي نعمة أبلغ من نعمة الله علينا بقبول التوبة وغفران جميع الذنوب للتائبين، غير أن قبول التوبة من الله جلت قدرته لها حدود أوضح ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ۝٥٤﴾ فلنشكر الله ونقتدي برسول الله في ترديد التوبة من صميم قلوبنا في مسائنا وفي صباحنا، ونطلب من الله بصدق من نياتنا فكاك رقابنا من عذابه الأليم، وليعلم كل مؤمن أن الأعمال بخواتمها، وأن العاقبة للمتقين.

نعم، كم من نعمة أسبلها علينا ربنا ونحن عن شكر الله عليها غافلون، كم متعنا الله بعقولنا وقد مكرنا بها مراراً وتكراراً، وكم وقعنا في المعاصي بأبصارنا وأسماعنا وألسنتنا وأيدينا وأرجلنا، غذانا ربنا بنعمه وأسبغها علينا ومتعنا بعافيته وقد أشعرنا بمحافظة ملائكته علينا: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ۝١٢﴾ [الانفطار]، وهذا من عدل الله ونعمته علينا كي لا يبقى لنا عذر ولا حجة.

فيا صاحب العقل السليم، راجع نفسك وحدثها كم أحضرت عقلك في صلاتك؟ نحن في صلاتنا أجساد بلا أرواح، همنا فيها الخلاص منها والنهاية، شبيه المجبور على عمل وهو له كاره، وقد شملت كثيراً من الخير، بل كل الخير مودع فيها لو عقلنا عن ربنا نعمته البالغة ومنَّته السابغة، فكم للتكبير والتحميد والتسبيح من فضل عند الله، وكذلك قراءة القرآن والركوع والسجود، وهي الصلة بين العبد وربه، وهي عمود الدين، نور في الوجوه، وتاج على رأس صاحبها يوم القيامة بشرط أن تكون صلاة مقبولة.

نستغفر الله العظيم من كل ذنب وغفلة، ونسأله رحمة واسعة وعفواً عظيماً، إنه أرحم الراحمين، آمين رب العالمين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]:

نادى الله في هذه الآية بني آدم مؤكداً لهم ومخبراً لهم أن أصلهم من آدم وحواء، وأنه بقدرته جعلهم شعوباً كما يقال: شعب مصر وشعب اليمن وشعب العراق، وقبائل وكل ذلك جعله ربنا كذلك من أجل التعارف، وإلا فالأصل واحد من ذكر وأنثى، وأصل الأصل من التراب وإليه يعود.

ثم بين سبحانه وتعالى الذي من أجله نادانا وإليه ندبنا وله خلقنا وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ فالتقوى لا

يظمأ عليها زرع قوم كما قال أمير المؤمنين، فالذي يتقي الله ويخافه لم يدع شيئاً من أسباب الرفعة والعزة والكرامة إلا وقد أخذ به، ومن أراد العزة من غير وجهها إما بجاه أو مال أو نسب بدون تقوى فلم يدع شيئاً من أسباب الضعة والإهانة والحماقة إلا وقد تمسك به.

فالكريم عند الله من سلك طريق الهداية وتجنب مزالق الردى، وعرف قدر نفسه وحاسب ما بينه وبين ربه.

فمن رأيته كذلك فاعلم أن مصباح الهدى قد زهر في قلبه وأن الله قد استخلصه من جملة من قال فيهم سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ۝٤٦﴾ [ص]، ومن قال فيهم: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ۝٤١ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ۝٤٢﴾ [الصافات]، وأنه من عباد الله الذين قال فيهم: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝٦٣﴾ [الفرقان].

اللهم عرفنا قدر أنفسنا، وارزقنا التواضع لك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على محمد وآله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يقول الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور]:

انظر وتأمل ما في هاتين الآيتين من الحكم والمواعظ ففي قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ أراد سبحانه من المؤمنين أن يعظموا ما عظم الله من مساجده التي هي محل للعبادة، وأنها لا تبنى إلا لذكر الله، فمن فعل فيها غير ذلك فلم يعظمها، وأنه يجب الاعتناء بها وبنظافتها والاهتمام بكل ما يرغب فيها، وأن تعظيمها من تعظيم الله ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

ومن تعظيم المؤمن لبيوت الله أن يكون نظيفاً في جسده وفمه وثيابه قال تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١]، وعلى المسلم أن يهتم بالسواك لأسنانه كي لا يخرج منها رائحة تؤذي الآخرين، وكذلك الروائح الكريهة من العرق والتراب والثوم والبصل.

ومن ذلك المزاح الذي يقع ببعضه قهر الآخرين حتى إن البعض يترك المجيء إلى المسجد هماً من بعض الناس، ولا يأمن من يفعل ذلك أن يدخل فيمن ذمهم الله بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ

مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة:١١٤].

وكذلك من يصطحب الأطفال الصغار فيما دون السابعة إلى المساجد، بعض الناس يتأذى من رطوبتهم ومن لعبهم في المساجد، وعلى كل مؤمن أن يهتم بقلبه ويعتني ببيوت الله وأن يكثر من ذكر الله في أوقات الصلوات كي يشمله ذلك المدح لأولئك الرجال الذين ذكرهم الله في الآية.

اللهم اجعلنا نعظم ما عظمت يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء]:

لقد جمع الله في هذه الآية الكريمة قصيرة اللفظ كثيرة الإحاطة عظيمة المعنى كل ما في جنات النعيم من النعيم فلا نعيم أُعِدّ لأولياء الله إلا وقد دخل ضمنها.

نعم، مما تشتهيه الأنفس الحياة السرمدية، والأمان الأبدي، وكما قال الوصي سلام الله عليه: (أمنوا الموت فصفى لهم ما فيها).

ومن ذلك نعيم أولياء الله بما يرونه ويشاهدونه بأبصارهم فلا يرون إلا جميلاً، لا يخرج عن ذلك على مدار آلاف ومليارات السنين، وكل المسموعات في جنات النعيم مما تزيد القلب فرحاً وسروراً، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة].

أما المطعومات فحدث ولا حرج: ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الصافات]، يتفكهون بأنواع الأطعمة والأشربة، ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات]، ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرحمن].

روائح أجسام أهل الجنة أطيب ريحاً من المسك، قصور منوعة بناها خالق الجنة وخالقهم، غرست أشجارها بين كثبان المسك، أثمارها متدلية، وأنهارها مطردة، جيرانهم فيها ملائكة الله وأنبياؤه، ويشهد لذلك ما حكى الله عنهم في كتابه: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر]، ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر]، ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس].

خلق الله في هذه الدنيا رموزاً تدل على ما وراءها من جمال بعض النساء والرجال، وكذلك المجوهرات وبعض الأرياح الطيبة والمطعومات اللذيذة وبعض المناظر الجميلة، وليست إلا رموزاً وداعية إلى فعل الطاعات.

أما الجنة فكل ما فيها فهو مرغوب محبوب دائم أبدي وسرمدي لا يخرج عن ذلك لحظة واحدة، فلا يدخل الهم والغم قلب أحد من سكانها؛ لأنه خلاف ما تشتهيه الأنفس وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون، فإذا كان الأمر كذلك فلا بد لذلك والحصول

عليه من الدين القويم والتواضع لرب العالمين، لا بد من الإيمان الصادق واليقين قال تعالىٰ: ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس:٩] فالتوحيد ثمن الجنة، وقال تعالىٰ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر].

لا بد من التواضع لله ولرسوله ولأولياء الله من العلماء العاملين الداعين إلىٰ دين الله القويم، ولا بد من الحب والولاء لآل رسول الله والإشادة بفضلهم والعرفان لحقهم، وكذلك محبة محبيهم من شيعتهم المؤمنين، لا بد من التواضع وترك الكبر، قال تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝٦٣﴾ [الفرقان]، ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾ [القصص].

فالسعيد –والله– من اعتبر نفسه في هذه الدنيا مسافراً إلىٰ الآخرة فتزود منها بالعمل الصالح والعلم النافع وأفعال الخير وصبَّر نفسه علىٰ ما تكرهه النفوس من بر الوالدين وصلة الأرحام والمحافظة علىٰ الصلوات في جماعات ورحمة الضعفاء والمساكين وتعظيم ما عظم رب العالمين، فغداً يسفر الظلام كما قال أمير المؤمنين.

نسأل الله السداد، ونسأله حسن الخاتمة، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام]:

الناظر في هذا المشهد بعين قلبه تذرف عيناه الدموع، ويقشعر جلده، ويخشع قلبه إن بقي له من الله نور وهداية، ويردد على مسامع قلبه هذه الآية ويقول: ما أمنني أن أكون من أصحاب هذا التهديد إما ظالماً لغيري من خلق الله أو ظالماً لنفسي؟ ومن ينقذني إن أنا ورطت حتى ألقى ملك الموت وأصبحت من الخاسرين؟

صور الله في هذه الآية حالة المفرط كيف يكون حاله عند قدوم هادم اللذات وحال تجرعه لسكرات الموت بحال من أوشك على الغرق في وسط البحر وليس له منقذ فتارة يصعد ويتنفس وتارة يهبط وقد أحاط به الأعداء من كل ناحية يشاهد السلاح في أيديهم وقلوبهم تتقطع عليه غيظاً، وكم كانوا ينتظرون هذه الفرصة السانحة.

وذكر الله في الآية الظالمين تقبيحاً منه سبحانه للظلم ولكي يحذر المكلف ويتجنب ظلم الخلق، فالظلم حرمه الله بين عباده، وأقبح الظلم ظلم الضعيف قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم:٤٢]، والجزاء من جنس العمل، ولأجل ذلك حكى الله مقالة الملائكة قائلين: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ

﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الأنعام:٩٣]، ومن قبل خروج أرواحهم لم يكن للملائكة عليهم سلطان.

نعم، ويلات الألم على المحتضر الظالم بلغت منتهاها، وتهديد الملائكة في تلك الحالة تتقطع لها القلوب خوفاً وهلعاً، وآخر المطاف إلى النار وبئس المصير.

نعوذ برحمة الله من غضبه، وبعفوه من عقوبته، إنه غفور رحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد]:

لما كان القرآن العظيم وكذلك السنة النبوية على صاحبها وآله الصلاة والتسليم موجهين إلى الذكور في الأغلب لا للنساء إلا فيما يخصهن ولأن بعض التكاليف تخص الرجال دون النساء مثل الجهاد والإمامة العامة، وكون العقود على النساء بيد الرجال، وكون الرجال يتحملون نفقات الأسر ويسعون من أجل التكسب ونحو ذلك- غلب الرجال في أكثر خطابات القرآن والسنة النبوية، لا لنقص في فضل النساء المؤمنات التقيات الطاهرات.

ألا تري أيتها المؤمنة التقية إلى ما اشتملت عليه هذه الآية ففي نهاية المطاف -أعني: بعد التكليف في الدنيا ثم الممات ثم المحشر والحساب- جمع الله المكلفين من المؤمنين والمؤمنات وكساهم نور التقوى والإيمان

فهم في ذلك سواء لا فرق بين ذكر وأنثى، فكلهم يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، وكذلك تراحيب الملائكة تعم ذكرهم وأنثاهم عند دخولهم الجنات، وفي درجة الملك يستوي الذكر والأنثى، وكل يعطيه الله ما يستحقه على حسب عمله في دار التكليف قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران:١٩٥]، فالنعيم في جنات النعيم شامل للذكر والأنثى كل أنثى مكلفة دخلت الجنة فقد شملتها هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ۝١٠٢﴾ [الأنبياء].

حتى أن المكلفة تسعد بما يعطي الله سبحانه وتعالى زوجها من الحور الحسان فلا غيرة ولا تنافس ولا مساواةٍ، فالحور ليس لهن درجات لأنهن غير مكلفاتٍ، بخلاف المؤمنة المكلفة فإن لها درجات في جنات النعيم بسبب التكليف في الدنيا، ولها خدم يخدمونها مثل ما للرجال، ولها قصور معلومة ومقامات في جنات النعيم مشهورة، ولا يبعد -والله أعلم- أن تكون الحور الحسان في جنات النعيم من خدام المؤمنات فتزداد بمشيهن معها حسناً وجمالاً، وعلى كل حال أن الجنة خلقت للراحة والفرح والسرور لكل من دخلها، فكل ما خطر ببال أحد في هذه الدنيا من المنغصات فليس له في الجنة وجود، ولا نعيم الدنيا برمته عند نعيم الجنة إلا قطرة من مطرة، نسأل الله أن يدخلنا جنته برحمته، وأن يشملنا بمغفرته وعفوه ووالدينا وأولادنا والمؤمنين والمؤمنات، آمين رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ]:

عبرٌ ومواعظ تتحير فيها الفطن وتقشعر منها الجلود وتخشع لها القلوب وتذرف منها ومن إمعان النظر فيها -والله- الدموع، قص الله قصتهم وحكى لهذه الأمة ما كانوا عليه وما صاروا إليه بسبب عصيانهم وكفرانهم لنعم ربهم وخالقهم محذراً بهذا القصص أصحاب النعم في كل زمان ومكان أن يحذروا أخذ الله الشديد.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ غاية لا تدرك في التعبير بهذا الكلام عما كانوا عليه وفي وصف نعمتهم البالغة وأيادي ربهم السابغة خبر من الله على التحقيق ولا ينبئك مثل خبير.

سبأ هم أهل مأرب قوله: ﴿فِي مَسْكَنِهِمْ﴾ أراد في بلدهم، ولكنه عبر عن البلد بالمسكن؛ لقرب النعم وما هم فيه بمن يتناول الأشياء المشتهاة من عند رأسه ومن أمام عينيه ومن عند قدميه فلا يحتاج في ذلك إلى تعب ولا نصب ولا كلفة ولا جهد،

وأخبر سبحانه أنه أخذ عليهم أن يأكلوا الحلال الطيب؛ بدليل: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ﴾ ولا رزق لربنا جلت عظمته إلا الحلال ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ فالشكر زمام لكل نعمة بيد الشاكر إن شاء أمسك وإن شاء ترك.

﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ وكونها طيبة فهي من أجل النعم، فعليكم الشكر يجب ويتحتم وقد أمهلكم فلم تزدادوا بهذه النعم إلا بعداً، أكلتم نعم الله وتماديتم في الغي، ولكنكم إن تبتم فهو رب غفور يغفر الذنوب ويستر العيوب ويزيد في الأرزاق ويدفع الأعداء ويزيدكم خيراً إلى خيراتكم وقوة إلى قوتكم ويمتعكم إلى حين، فتغافلوا وتجاهلوا وزلت بهم القدم فآثروا كفر النعم على شكرها طاعة منهم للشيطان الرجيم، وتغافلاً عن طاعة أرحم الراحمين، ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ جمعت المياه في سد مأرب نعمة إن هم شكروا وعقوبة عاجلة ونقمة إن هم كفروا، فلما كفروا جاءهم ما كانوا يوعدون. سنة الله في خلقه أهل البطر أن يذل من تعزز بالفجور، يبدلهم بالعز ذلاً وبالغنى فقراً، وبالأمن خوفاً، ويعقبهم من قرب النعم بُعْدَها، ومن وجودها فقدها.

كانت تأتيهم عن قرب فأصبحوا يطلبونها عن بعد، جزاء من الله عاجلاً لمن أعرض عن ذكره لا لمن شكر ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ ولم تكن النعم عليهم في بلدهم فحسب بل كانت في حلهم وترحالهم فكانوا إذا سافروا إلى أرض الشام لا يصبحون ولا

يمسون إلا في قرىً فيها ما يحتاجون إليه، وكان أهل القرى تلك يعظمونهم؛ لما في أيديهم من الخيرات فلا يرون شيئاً من الملاذ يشتهونه إلا شروه، ولا ظهراً من أنواع الدواب إلا ركبوه، فعزموا على ركض النعم بأرجلهم وداسوها بأقدامهم: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ:١٩]، ركوناً منهم على أنفسهم وعلى ما في أيديهم، يظنون بجهلهم أن تلك النعم باقية، فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون، فلما تقلصت معيشتهم، وتمزقت نعمتهم، وصار كل فرد منهم شبيه من أوشك على الغرق في وسط البحر- تفرقوا في البلاد شرقاً وغرباً، ويميناً وشمالاً، فصاروا أحاديث ومعتبراً، بعد أن كانت حياتهم عزاً ومفتخراً.

نعم، بلغ التحذير منتهاه لأصحاب العقول بقصتهم فلا نعمة من الله تدوم لأصحابها إلا بشكره ولا أخرى تزول إلا بعصيانه وكفره، سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

ثم قال عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴿١٩﴾﴾ [سبأ]، في هذا القصص آيات وعبر لكل صبار على التفكر شكور للنعم، أما من هم كالأنعام أو هم أضل فبينهم وبين الاتعاظ حجاب العزة قد نكست قلوبهم فجعل أعلاها أسفلها لا يستفيدون بالمواعظ ولا ينتفعون بالعبر، وقد حذر الله بهذا القصص قريشاً خاصة وغيرهم عامة، ومفعولها جار إلى يوم القيامة.

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ]، نعم، يحس الإنسان بوجدانه إذا فرَّغ قلبه من الشواغل وجمع همته عندما يشرف على قصة سبأ وأهلها وما حكى الله عنهم وأخبرنا -جلت عظمته- في شأنهم أنه قدم من أرض قاحلة وديار مجدبة وإذا به قد أشرف على أرض لم يجد لها في دياره وفي أرض الله مثيلاً أشرف ببصره على أشجار ملتفة ومختلفة وفيها من جميع الأثمار اليانعة والأرياح الطيبة النافحة، تتخللها سواقي المياه العذبة والعيون النابعة، قد عمها نسيم الصباح في جميع أوقاتهم، تختلف أجسامهم وصورهم عن بقية سكان البلاد والناظر إليهم المتأمل لأحوالهم يقول: هؤلاء أولاد الملوك حقاً، بلدتهم شبيهة البنت الحسناء في بيت الكريم حسينة الخلق، وخُطّابها يفدون من كل ناحية بل من كل فج عميق، وإذا غاص بفطنته متخللاً أبوابهم حتى حضر موائدهم الشهية وقد حفت بالفواكه والأشربة المختلفة الهنية، في قصور تنافسوا في بنيانها ودفعوا الأموال الطائلة في عمرانها، دوابهم تختلف عن بقية الدواب قال: هؤلاء أهل جنة الله في أرضه أو تحت جنته في سمائه، فإذا استكمل بقية قصتهم وما آلوا إليه خرب ما كان قد بناه وعاد طرفه إليه حسيراً لا يدري كيف يعبر عن حالهم هل يعبر عنهم بحال من قتل نفساً بغير نفس فترك دياره وأولاده ومجتمعه وأحبابه وهاجر من وطنه إلى غير رجعة، أم يعبر عنهم بحال غني كان يبني ما أراد من القصور ويتزوج بمن شاء من

الجميلات الناعمات ويلبس ما أراد من الكساء، والناس ينظرون إليه في حله وترحاله، ثم افتقر، أم بصحيح بلي بأنواع البلاء، أم بركاب سفينة تحطمت من شدة الأمواج وهم على ظهرها فبعضهم غرق ومنهم من بقي على ألواح من ألواحها جماعات وفرادى أشرفوا على الهلاك وما هي إلا ساعات ولحظات وقد تجرعوا كأس المنون.

انظر أيها المتأمل في عواقب كفران النعم ثم انظر في أحوال هذه الأمة وخاصة الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار.

وانظر في بعض الشعوب التي كانت نعم الله على أهلها شاملة وحاجاتهم في جميع بلدانها متكاملة كيف أدبرت عنهم النعم وحلت بهم النقم من الحروب الطاحنة والفتن العائمة والفقر المنسي فتجرعوا مرارة الإهانة من الظلمة المجرمين وصاروا عبيداً لإخوان الشياطين، وكل ذلك لأنهم لم يشكروا خالقهم ولم يفيئوا عن غيهم، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

اللهم أوزعنا شكرك، وألهمنا ذكرك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الله تعالىٰ: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ۝٧٨ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ۝٧٩ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ۝٨٠﴾ [الأنبياء].

في هذا القصص العجب العجاب من الأسرار الربانية والحكم الإلهية ما تحار فيه فطن أولي الألباب، انظر في قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ النفش والنثر متقاربان قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا۝١٩﴾ [الإنسان]، وإضافة الغنم إلىٰ القوم تفيد أن أصحاب الغنم جماعة أو واحد كبير يمثل الجماعة، أخبر الله تعالىٰ أنهما حكما بحكمين وكلاهما حكم بحكم الله سبحانه وتعالىٰ؛ لأنهما نبيان يتلقيان الأحكام من عند الله سبحانه وتعالىٰ.

نعم، الفرق بين الحكمين والله أعلم فيما ستؤول إليه عاقبتهما قيل: إن نبي الله داود حكم بالغنم لصاحب الزرع يأخذها ويملكها مقابل زرعه ولو تم ذلك الأمر لأدىٰ إلىٰ عدة أمور من الفساد منها: الحقد والكيد من صاحب الغنم علىٰ صاحب الزرع ولا سيما إذا زرع أرضه مرة أخرىٰ ورآها صاحب الغنم مزروعة مع تملكه

لغنمه، ومن تلك الأمور أن الشيطان يدخل عداوة نبي الله في قلب المحكوم عليه أنه ظلمه وحابى الآخر مما يؤدي إلى خروجه من الدين، ومن ذلك الجفوة بينهما وزرع العداوات بين أولادهما، وغير ذلك من أنواع الفساد، وكما قال الله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة].

فلما حكم نبي الله سليمان بن داود سلام الله عليهما ووفق لإصلاح ما تؤول إليه أمورهما بدليل: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ وذلك أن يأخذ صاحب الحرث غنم الآخر يتمنحها ويأخذ ما جاء من الولد ويدفع الأرض لصاحب الغنم يزرعها ويصلحها حتى تعود كما كانت وبعد ذلك تعود الأرض لصاحبها وكذلك الغنم تعود إلى مالكها فرضي كل منهما غاية الرضا وبحكم نبي الله سليمان سعدا.

ثم نزه الله نبيه داود من النقص بقوله: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴿٨٠﴾﴾ يؤخذ من هذا القصص أن الخيِّرين من عباد الله في كل زمان ومكان يختار الله منهم من يصلح به شأن عباده وإن كانت أعمالهم مختلفة وآراؤهم متفرقة فهذا يصلح للحكم والإصلاح بين الناس بخلاف ذلك الفرد، وآخر له نفوذ في قضاء حوائج الناس وله صبر على التحمل على الضعفاء والمساكين وله قبول وجاه عند أصحاب الأموال من المخلوقين، بينما رجل آخر له رغبة وشوق في تعليم الناس

شريعة رب العالمين، فالطلبة لبابه يطرقون لا يكل ولا يمل، يملي المعاشر على طلبة العلم ليلاً ونهاراً يمل الطلبة وهو لا يمل، يسعد إذا حفوا به لأخذ العلم ويتضجر إذا كانوا عنه غائبين.

وآخر ليس له صبر على شيء مما ذكر غير أنه يحب توجيه النصائح بلسانه ويهتف بالزواجر في أسماع الغافلين، كلامه عند من وعظهم أحلى من العسل الشهد ويقولون: لم نسمع مثل هذا الكلام، يسدد الله خطاه وإن عثر، وترى كثيراً ممن يستمعون لوعظه يتراجعون عن غيهم ويتركون تعنتهم فوفقوا لرشدهم.

وعلى هذا جرت حكمة الله فالله يهب ما يشاء لمن يشاء، وفوق كل ذي علم عليم.

ومن عباد الله الصالحين من هو مؤمن تقي ومخلص نقي غير أن الطرق في وجهه مسدودة فلا نفوذ له في وعظ ولا تعليم ولا قضاء حوائج المساكين ولا إصلاح بين أحد من المخلوقين فديدنه الهمهمة بذكر الله إذا دخل وقت صلاة همه المبادرة إلى الوضوء والطهارة ولو كانت المخاصمة والمقاتلة بين أهله وأسرته حامية، إذا سئل عن ذلك قال: قطع الله رجاهم كل يخارج نفسه.

وقد يجمع الله فيمن يشاء من عباده خصالاً من الخير عديدة فتراه يرشد الناس ويصلح بينهم ويقضي حوائج الضعفاء والمساكين ويعالج المرضى برواتبه وأوصافه لهم، فهو خير وبركة في كل توجهاته ومساعيه كما قال الله جلت عظمته في نبيه عيسى عليه السلام:

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ [مريم:٣١].

ولم أر في حياتي كلها مثل نجم الزمان الراحل سيدي ومولاي الحجة على خلقه والداعي إلى دين ربه الحسين بن يحيى رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار،

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

فسبحان واهب الخصال الحميدة والآراء السديدة.

نعم، كل ما ذكر مما تقدم يجب إمعان النظر في ذلك، وليعلم كل من له حظ في منافع المخلوقين أنه يتحتم عليه شكر النعمة والهمة العالية في مواصلة عمله وإلا سلب الله عليه تلك النعمة التي له فيها جاه وقبول، وليحذر من الحسد للآخرين فهو الداء الدفين والسم الناقع وما يعقلها إلا العالمون.

نعم، يشهد لما سبق ذكره قول الله تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وكذلك ما أعطى الله نبيه داود من تسخير الجبال واستخراج المعادن والفطنة والذكاء في صياغة الدروع وغير ذلك، وختم الله القصة بقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ۝٨٠﴾ نشكر الله على نعمه، ونسأله المزيد من فضله وكرمه.

اللهم أوزعنا شكرك، وألهمنا ذكرك، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿كهيعص۝١ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا۝٢ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا۝٦ يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا۝٧﴾ [مريم]:

سميت هذه السورة الكريمة -والله أعلم- (مريم) باسم الطاهرة أم المسيح عيسى ﷺ؛ لما في قصتها عليها السلام من العجائب، ولما لاقت في حملها بعيسى عليه السلام من المصائب، ولأنه أتاها الفرج من غير معهود بكلام ولدها المسيح في مهد الصغر ولله في خلقه شؤون، ذكر الله في مستهلها قصة نبيه زكريا عليه السلام، وذكر رحمته لنبيه بأن أعطاه الله ما طلب وكيف كان دعاؤه لربه إرشاداً منه سبحانه لعباده.

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ النداء إذا أطلق أفاد أنه بصوت رفيع من المنادي فقيَّده ووضحه هنا بقوله: ﴿نِدَاءً خَفِيًّا۝٣﴾ فما هو السر بأن وسمه بالنداء ولم يقل: ودعا ربه؟ لا يبعد والله أعلم أن النبي زكرياء لما كبر سنه ودق عظمه واشتعل الشيب في رأسه وزوجته أصبحت عاقراً- دعا ربه دعوة من صميم قلبه عمت مشاعره كلها ففتحت لها أبواب السماء شبيه المستغيث في قفرة نائية عن الديار وقد انقطع

عن كل أسباب الحياة فلا مغيث له سوى مولاه.

نعم، الأنبياء أسوة ﷺ فينبغي أن يكون الداعي بهذه الصفة من غض الصوت وإظهار الافتقار إلى الله ويشهد لذلك قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ...﴾ [الأعراف:٢٠٥]، وقول الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف]، بدأ في دعائه بذكر اسم من أسماء الله عظيم وهو الرب المنعم المتفضل علينا بكل خير له الحمد والمنة، ثم أظهر بين يدي مولاه الضعف من حاله وأنه وهن العظم منه فصار ضعيفاً في بدنه وفي كل ما يعنيه أمره فلا تحمل للشدائد مثل ما سبق ولا جهد له على حمل الأثقال في حالة أظهر العدو فيها عداوته وأبدى شماتته وزاد الطين بلة اشتعال الرأس بالشيب الذي يراه القريب والبعيد والصديق والعدو.

ومن أقوى الأسباب الحاملة لنبي الله زكرياء على هذا الدعاء الغير معهود لأنه دعا بولد وزوجته عاقر أنه دخل على مريم بنت عمران وكان لها رحماً عليها السلام فوجد عندها أنواعاً من الفواكه الغير معهودة في ذلك الحين وليس لها وجود على الإطلاق فسألها مستغرباً قائلاً: ﴿يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران]، بغير مؤنة وكلفة وفي وقت الأثمار وفي غير وقتها ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ [آل عمران:٣٨].

وعلة أخرى أنه حصل له من الكلام الجارح للقلوب مثل ما حصل لحبيبنا ونبينا محمد المصطفى عليه وآله أفضل الصلاة والتسليم بأن قال أعداء زكرياء عليه السلام: إنه أبتر ومقطوع النسل بعد موته والذكر فخاف الموالي الفساق على بقية الأرحام الضعفاء فاجتمعت همته البالغة بما ذكر وخرج منها دعوة ليس بينها وبين الله حجاب.

﴿يَرِثُنِي﴾ فيما خلفت من الحطام ﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ العلم بأن تجعله يا رب رضياً، فأتته البشارة بشيء طال له انتظاره زماناً طويلاً: ﴿يَازَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ أكد الله البشارة بـ«إنّ» وبلفظ الجمع ويذكر البشارة ﴿لَمْ نَجْعَل لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾، فلا سمي بهذا الاسم أحد من أنبياء الله وكذلك صفاته وما كان عليه صلى الله عليه فردد الكلام بينه وبين ربه رغبة في كلام خالقه أو في كلام المرسل من خالقه لا لشك منه في ذلك فهو أعلم من غيره بأن الله على كل شيء قدير: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨﴾ فكرر عليه السلام القول طمعاً فيما يشبه المُلك عند أهله إن تم له الأمر، ومن هنا فعلى المؤمنين عندما يرون أحداً لم يرزق بولد أن يدعوا له ويعطفوا عليه بقلوبهم ويدخلوا عليه السرور بما يظهرون له من الرحمة من قلوبهم وألسنتهم فالخطب عند من لم يرزق بولد جسيم وقد جربنا ذلك ولا ينبئك مثل خبير.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠﴾ فلما جاءت الآية وعجز عن مخاطبة الناس بكلامه علم أن زوجته قد حملت بالغلام فخرج من محرابه من شدة الفرح

وقد غمرته السعادة فباشرهم بقوله: ﴿أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾ ولم يمنع عليه من النطق إلا ما كان من المحاورة في أمور الدنيا أما أمرهم بذكر الله فلسانه ينطلق وأمرهم بالتسبيح لأنه تنزيه لله وتكراره على ألسنتهم في الصباح وفي العشي لا يبقى مع ذلك أي شك أو شرك بالله، فسبحان العالم بخفيات الأسرار القادر على كل شيء، المعطي ما يشاء على مقتضى الحكمة لمن يشاء ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل:٦٢]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٢٣٢﴾ [البقرة]:

نصيحة بالغة وتهديد شديد لولاة الأمور في شأن النساء المطلقات اللاتي قد خرجن من العدة أن لا يحولوا بين المطلِّق والمطلَّقة إذا كان هناك رغبة في العودة من الطرفين لا سيما إذا علم ولي المرأة ذلك، فإنه يجب عليه ويتحتم أن يوافق ولو كان ذلك يخالف هواه، وعليه أن يتأمل جيداً في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فمن لم يتعظ بهذه الآية فليس من الإيمان والتصديق باليوم الآخر في شيء.

ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴿٢٣٢﴾﴾:

نعم، قد يترتب على المنع ما لا يحمد عقباه من الوقوع في الحرام بسبب الحب الذي بينهما، فالسعيد من اتعظ بكلام الله وكلام رسوله ونصيحة العلماء وما أكثر الظالمين لبناتهن وأخواتهن في شأن الزواج، فترى هذا يمنع تزويج بنته من الخاطب الكفء صاحب التقوى والدين من أجل رغبته في المال الكثير وهو يعلم وقد سمع من العلماء أن ذلك حرام، وبعضهم يفرق بين بنته أو أخته وزوجها عصبية وظلماً وعدواناً؛ لأن طبيعة الزوج لم توافق طبيعته أو لقلة ذات يده أو خوفاً من الميراث، وبعض الناس يزوج ابنته بدالاً من أجل أن يزوج الآخر ابنه فإذا هربت واحدة إلى أهلها ورفضت زوجها بسبب من الأسباب فلا يرضى زوجها أن يطلقها إلا بطلاق أخته وهي تحب زوجها ولا ترتضي به بدلاً فإذا وقع الطلاق من زوجها عاشت حزينة بقية عمرها.

فسبحان الحليم عن الظالمين في الدنيا والمنصف للمستضعفين والمقهورين المظلومين يوم القيامة، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]:

سبحان الله ما أحفظه لمصالح عباده مع الاستقامة على دينه!! انظر في توكيد الله وإخباره لعباده الصالحين أن ما أعطاهم في هذه الدنيا من النعم وإن عظمت وجلت لم يكن ليسلبها عليهم ما داموا بعقيدتهم متمسكين وعلى دينه ثابتين فعليهم القيام بما كلفهم ولهم الوفاء بها وعدهم.

نعم، لا ترى ولا تسمع بقوم رحلت عنهم النعم إلا بذنوب اقترفوها، ومن أعظم الذنوب المهلكة المداهنة في الدين بعد المعرفة واليقين، فأول العصيان فساد الضمائر وخبث السرائر وترك المجال لأعداء الدين المنافقين يزرعون الشبه بين من كانوا على التقوى فيفرقون جماعتهم ويشتتون شملهم، وعند ذلك لا يبالي الله بهم في أي وادٍ هلكوا أو طريقة سلكوا؛ لأن من كانت قلوبهم منطوية على الحق كتموه، ومن كانت على الباطل أظهروه، فالحياة الطيبة لا تدوم إلا بالتقوى مع الجد والاجتهاد في استمرارها والدعاء من صميم الأفئدة إلى من هو أقرب إلينا من حبل الوريد في بقائها والمعاونة بين المجتمع الذي غمرهم الإرشاد والدين فيما بينهم.

وليعلم كل مؤمن أن الشيطان لعنه الله حريص على خراب كل مجتمع صالح، يسعى لعنه الله بجده واجتهاده لزرع الحقد في قلوب إخوانه على أهل التقوى واليقين، وكما أن المؤمنين يدعون للإلفة فإخوان إبليس

يدعون للفرقة، وكما قال تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٧].

فعلى المؤمنين من طلبة العلم وغيرهم أن يكونوا حريصين ومحافظين على المقرى والدين في بلدهم، وأن يحمل كل واحد منهم الهم في قلبه من خوف الفرقة وشت الشمل، وإذا كانوا كذلك فإن الله ينصرهم ويدفع عنهم كيد الكائدين ومكر الماكرين وسوف تكون كلمة الله هي العليا.

وإن هم تخاذلوا وتكاسلوا عن حمل المسؤلية فسوف تحل بهم النقم وتنفر عنهم النعم، كما أخبر الله في هذه الآية بقوله: ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ فقد أخبرنا أن بالدين تدوم النعم، وبالتخاذل وفساد النوايا تحل النقم.

اللهم أصلح مجتمعنا ومجتمعات المؤمنين، واصرف عنا كيد الشياطين وإخوانهم المنافقين يا أرحم الراحمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴿١٧﴾﴾ [الكهف]:

نعم، من شهد له ربنا سبحانه وتعالى بالهداية فهو المهتدي وإن حكم عليه غير الله بالضلال، ومن شهد عليه بالضلال فهو الضال وإن زكاه بنو جنسه وقالوا: مهتدي.

نعم، المهتدي هو الذي أقبل بقلبه ودب ودرج في طريق المتقين، يطلب النجاة في جميع أوقاته، سمع قول الله تعالىٰ: ﴿وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران]، فجعل الخوف شعاره، وسمع قوله تعالىٰ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة]، فبحث عن طريقهم ونقّب حتىٰ وصل إلىٰ صراط الله المستقيم، وعرف بيقين حمَلَة الدين القويم الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، عرفهم بالصفات التي عرَّفهم بها ربهم من التواضع والخوف والرحمة والمعاملة الحسنة والقيام بالفرائض أحسن قيام، وغير ذلك مما نعتهم به خالقهم.

فمن كان بهذه الصفات فهو المهتدي قد زادهم الله هدىً إلىٰ هداهم وآتاهم تقواهم، ومن حكم عليهم بالضلال فهم الضُّلَّال وإن أظهروا شعائر الدين وتزينوا بزي الصالحين، وصلوا وصاموا وحجوا، وعقائدهم باطلة فليس لهم من عبادتهم تلك إلا النصب والتعب، بدليل: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف]، فهذا معنىٰ الآية، لا من حملها علىٰ ظاهرها بجهله وجرأته علىٰ ربه لو كان معناها علىٰ ظاهرها لكانت الحجة يوم القيامة للمكلفين علىٰ خالقهم تعالىٰ الله عن ذلك علواً كبيراً.

انظر بقلبك في مقالة المفرطين الذين عميت أبصار قلوبهم وحالوا بينهم وبين المواعظ بحجاب التعزز وادعاء المعرفة لما أيقنوا

بالهلاك بعد العرض على الله ورجعوا إلى أنفسهم متهمين قائلين: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١٠ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١١﴾ [الملك]، ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ۝١٠٦﴾ [المؤمنون]، أجابهم مجيب من قِبَل الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ۝٣٧﴾ [فاطر].

اللهم نجنا من مضلات الفتن، وارحمنا يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝١٩﴾ [النور]:

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين، تأمل أيها الطالب للنجاة،والهارب من عذاب الله في هذه الآية المباركة وما اشتملت عليه، خبر رباني ولا ينبئك مثل خبير، رحمة من الله بالمؤمنين وتحذير للجهلاء الغافلين، وصيحة بالويلات على المنافقين إخوان الشياطين، أكد الله خبره في هذه الآية بـ«إنّ» لعظم ما حذرنا عنه فيها وهوله كي لا نتساهل بشيء من ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قوله: «يحبون» المراد بذلك العزم والإرادة من قلوبهم، فمن أراد ذلك وأحبه ويريد وقوعه فقد تعرض بتلك الإرادة لذلك التهديد من العذاب الأليم في الدنيا

والاخرة، والمراد بالفاحشة ما تستقبحه وتستفحشه عقول العقلاء لا سيما إذا وقع من أحد المؤمنين.

نعم، حذر الله جميع المكلفين أن يتنبهوا لذلك وأن يصونوا أعراض المؤمنين وأن لا يصدقوا مقالة أحد تكلم في أحد من المؤمنين بكلام فاحش من زنا أو غيره مما يحط من قدرهم ويهانون به بين مجتمعاتهم، وأنه لا يجوز ولا ينبغي في حق المؤمنين إلا المدح والثناء والتشريف والتعظيم من القلب واللسان، فقد ورد في الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقد أشار إلى الكعبة قائلاً: ((لهدمك حجراً حجراً أهون عند الله من هتك عرض مؤمن))، وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)).

كم مدح الله المحسنين والمتصدقين، وكذلك الصابرين والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، وأصحاب الأخلاق الحسنة والدائبين في قضاء حاجات الضعفاء والمساكين وكل ذلك من أجل المؤمنين.

فمن تناول أعراض المؤمنين بشيء مما تستفحشه العقول فقد تعرض لغضب الله الشديد وكذلك من رضي بذلك أو استمع ولم ينكر فقد شارك؛ لقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((لا يحل لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنتقل)).

نعم، يتناول العامة والجهلة كلمات بذيئة من الشتائم والسباب وهؤلاء هم الذين مدح الله المؤمنين بقوله في شأنهم: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان].

أما المؤمنون الأتقياء فلا ينبغي أن يصدر من أفواههم إلا الطيب من القول، وأن يدفعوا السيئة بالتي هي أحسن، وأن يؤدبوا أولادهم وأهاليهم بآداب الإسلام من الأقوال والأفعال، وأن يتركوا التنابز بالألقاب، وهذه صفة المؤمنين الذين أشاد الله بفضلهم في سورة الفرقان بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان].

هذا، وليعلم كل مكلف أنه لا بد من التعب والصبر على تربية وتهذيب الأولاد والأهل حتى يتخلقوا بآداب الصالحين وإلا دبوا ودرجوا في مزالق السفه حتى يصعب تعديلهم ويعجز الأقارب والأباعد عن تأديبهم فيتجرع واليهم الغصص عقوبة على التفريط عاجلة وسوف يسأل عن التفريط وقلة الاهتمام بهم في الآجلة.

وليعلم كل من كرس جهوده في تربية وتأديب أولاده وأهله أنه على ذلك مثاب ثواباً عظيماً، وأنه بسبب ذلك داع إلى الله وآمر بمعروف وناه عن منكر، وأنه من عباد الله الخيرين؛ بدليل قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)).

وإذا كانت الخيرية تصدق عليه بسبب إحسانه إليهم في أمور الدنيا فبالأولى والأحرى أمور الآخرة، ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته)).

وختم الله الآية بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور]، الله هو أعلم بمصالح العباد وبما يصلحهم من الوعيد والزجر وكذا من

الثناء والأجر فلا أحد أعلم من الله سبحانه بذلك، وما علينا إلا الالتزام بأوامر الله والانتهاء عن نواهيه، وهو الذي سوف يصلح أحوالنا ويدافع عنا كما قال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ صدق الله العظيم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة]:

الله سبحانه وتعالى يحث الناس على التواد والتراحم، ويحثهم على أسباب المحبة من التباذل والتواصل وإفشاء السلام وغير ذلك، ويحذرهم غاية التحذير من التقاطع والتدابر والاختلاف؛ لأن ذلك يفتح للشيطان المجال لعنه الله فيهلك حرث المؤمنين ونسلهم، ويشت شملهم، ويمزق صفهم، إن هم أطاعوه وتركوا الهدى.

نادى ربنا سبحانه بهذه الآية جماعة المؤمنين الذين استجابوا الله وللرسول أنهم إذا اجتمعوا في أي مجلس ودخل عليهم آخرون وطُلِب من السابقين في ذلك المجلس أن يتفسحوا فليتفسحوا كي يفسح الله لهم.

نعم، أطلق الله في قوله تعالى: ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ولم يقيده بشيء مخصوص فهو بهذا الإطلاق يدل على أن الله سبحانه يعطي

من استجاب لأمره وتفسح في أي مجلس لأخيه المؤمن أو لإخوانه كل ما يتهيأ فيه الفسحة من طول العمر وكبر الجاه وكثرة الرزق وسعة الأخلاق وزيادة في الصبر وغير ذلك.

نعم، لأن ذلك التفسح يوثق العلاقة بينك وبين من فسح لك في ذلك المجلس،وهذا شيء ملموس ومحسوس في أي مكان وزمان إذا وفدت إلى محل اجتماع ورأيت رجلاً يحترمك ويدعوك إلى جانبه أو تجلس في مكانه وغيره لم يتزحزح فإنك ترى له بصنيعه ذلك فضلاً على غيره، وتود أنك تملك مكافأته في تلك الساعة ولا سيما إذا كان غير معروف عندك، فمن هنا ظهر السر في الجزاء العظيم من الفسحة أن ذلك سبب قوي في التواد والتراحم، وعلى ذلك فقس بقية الأسباب التي يتوصل بها إلى المحبة بين المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، بسبب تلقي أوامر الله بالقبول والعمل بما علموا.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة]، النوايا لها دورها الكبير في دين المسلم فبصلاحها يعظم الأجر، ولذلك قال النبي ﷺ: «نية المؤمن خير من عمله»، وبفسادها يبطل الأجر، ولذلك قال النبي ﷺ: «نية المنافق شر من عمله» وبذكر العلم في الآية يبدو أنه كان مجلس من مجالس الذكر والله أعلم، وعلى كل حال من خلال النظرة والتأمل في هذه الآية الكريمة يتجلى للناظر أن المؤمنين لهم عند الله مكانة عظيمة وأن تقديرهم وتعظيمهم من صميم

الإيمان فما بالك بقضاء حوائجهم.

ألا ترى أيها المؤمن إلى ما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((قضاء حاجة مؤمن تعدل عند الله صيام شهر واعتكافه))، و((من فرج عن مؤمن كربة في الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة، ومن فطّر صائماً كان له مثل أجره)) وغير ذلك الكثير والكثير.

زادنا الله بصيرة في حقوق المؤمنين والمؤمنات، وأسأل الله أن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه إنه على ما يشاء قدير.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف]:

كلما ورد الإيمان وبعده عمل الصالحات فالمقصود به توحيد الله وعدله، بمعنى أن يكون المكلف موحداً لله بالذي يستحقه ومع تلك العقيدة يأتي بالواجبات ويجتنب المقبحات فهؤلاء هم أصحاب جنة الفردوس التي وعد الله بها عباده المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ قد يتوهم المتوهم من خلال سماعه للخلود في تلك الجنان أنه يحصل بعض ما يحصل في هذه الدنيا من الملل والضجر في بعض الحالات لا سيما مع طول المدة والمكث

بحيث إن الإنسان في هذه الدنيا مهما بلغت أمواله وكبر تمكينه واستطاع أن يوصل بذلك إلى أجمل أماكن السياحة في أنحاء العالم فلا يلبث إلا فترة محدودة وبعدها يحصل له ملل وضجر ويريد أن ينتقل إلى مناطق أخرى ولو كانت أقل من تلك الأماكن في الحسن والجمال، فرفع الله ذلك الوهم من قلوب المكلفين المستجيبين لداعي الله ورسوله بقوله عز ذكره: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝١٠٨﴾.

نعم، لأن كل نعيم بلغ ذروة الكمال وليس له نهاية في حالة من الأحوال؛ لأن الدار دارُ نعيم وجزاء، بخلاف هذه الدنيا الفانية فهي دار تكليف وابتلاء ولأجل ذلك جعلها الله سريعة الزوال وحياة الإنسان فيها وشيكة الانتقال غير أنه يحصل للإنسان ولا سيما في عنفوان شبابه بعض الراحة والسرور يجد ذلك في قلبه والله هو الذي خلق له ذلك في بعض الأوقات إما لسبب من الأسباب مثل راحته بزوجة جميلة أو ببيت بناه أو بمال حصل عليه واكتسبه أو كانت الراحة والسرور من غير هذه الأسباب بل يحس أنه لو ملك العالم لم يحصل له السرور إلا كذلك.

غير أنه سرعان ما يحل محل السرور والراحة الهم والغم والحزن والضجر إما لسبب كما سلف أو لغير سبب، وإذا أراد أن يدفع ذلك الهم والضجر فليس لذلك من سبيل.

السرور والراحة والفرحة تدخل القلب ولو كان الإنسان في شدة في بعض أحواله، والهم والغم والضجر تَخَلُّف ذلك ولو عدم

أسبابها، فعلمنا وتيقنا علماً ضرورياً بالتجربة المرة بعد المرة أن واضع الراحة والسرور وعكسهما من الهم والغم والضيقة والضجر هو غير الإنسان، وهو الله رب العالمين وأقدر القادرين.

نعم، فقوله تعالى: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف]، وقوله جل شأنه: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء]، لأنه أقر الراحة وأثبتها وجميع المسارّ والملاذّ في قلوب أولياء الله خلقها وأدام بقاءها ومنع الهموم وكل ما ينغص اللذات من الوصول إليها، فهم بما يرون ويسمعون وما يملكون من الأزواج والخدم والقصور والمشتهيات من المأكولات والمشروبات والبساتين وغير ذلك يتنعمون ويتلذذون، وبما هم فيه من القوة والعافية والأمان من الموت ومن أضداد النعم يسعدون فلا ترد عليهم المصائب؛ لأن الله جل شأنه وعز سلطانه منعها، ألا تسمع يا صاحب العقل الزكي إلى أخبارهم بذلك فيما حمدوا به خالقهم وشكروا به رازقهم وهم في جناته يتنعمون وعندهم الأبكار الناعمات من البنات الحور الحسان التي ينفي الهم لو كان حاصلاً النظرُ في ملامح صورتها، عروسة لم يوجد لها نظير.

تجري من تحتهم أنهارها بين البساتين المتجاورة والأشجار المثمرة والأرياح الطيبة، جيرانهم الخلاصة من بني آدم المؤمنين، فلما شاهدوا ورأوا وسمعوا ما هنالك وذاقوا بوجدانهم كل ذلك النعيم قالوا وأخبروا عن حالهم ومن صميم قلوبهم: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ [فاطر:٣٤].

فلهذه الأسباب أخبر جل شأنه عنهم أنهم لا يبغون عنها حولاً ولا يرتضون بها بدلاً فلا تمر عليهم دقيقة بل ثانية إلا والسرور بالغ منتهاه، لذاتهم تتجدد ونعيمهم سرمدي لا ينفد، وذلك بقدرة أقدر القادرين، ألا تسمع لقوله جل شأنه: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ۝٣٤ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ۝٣٥﴾ [ق]، ضيافة من أرحم الراحمين، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ۝٣١ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ۝٣٢﴾ [فصلت].

اللهم اجعلنا برحمتك من عبادك الصالحين، وبعفوك وكرمك في شهرنا هذا من الفائزين ووالدينا وأولادنا وأهالينا والمؤمنين والمؤمنات يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا۝٥٦﴾ [الأحزاب]:

اللهم صل وسلم على رسولك وخير خلقك وعلى آله الطاهرين، لقد عظم الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة حق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وما يستحقه من الصلاة عليه والتسليم، وألحق به أهله بدليل آخر، من ذلك: أن الله أوجب علينا وحتم الصلاة عليه وآله في كل صلاة من الفرائض، وغير ذلك من الأدلة الكثير، وحذَّر من الصلاة البتراء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: ((لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء)) قيل: وما الصلاة البتراء يا رسول الله؟ قال: ((أن تصلوا عليّ ولم تصلوا على آلي)) أو كما قال.

نعم، الله سبحانه يريد للمؤمنين الخير الكثير والمكسب الكبير، وذلك بالصلاة على رسوله وعلى آله، وأخبرنا سبحانه بعظم هذه العبادة وما لها من الفضل عنده سبحانه، ويكفي من الأدلة القاطعة على فضلها ومكانتها أن الله أمرنا بأن نتأسى به وبملائكته عليهم السلام، وكفى بذلك عزاً ومفتخراً، وأردف ذلك بالنداء لأوليائه المؤمنين ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ فلا يتغافل عن الإكثار من الصلوات عليه إلا محروم كما أخبرنا بفضل الصلاة عليه وآله من ذلك أنها ثقل في الميزان، ومن ذلك أن الدعاء يتوقف حتى يُصلَّى على النبي وآله، ومن ذلك قوله: ((من صلى علي مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ثلاثين لدنياه وسبعين لآخرته))، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات، ومحا عنه عشر سيئات، وأثبت له عشر درجات، واستبق ملكاه الموكلان به أيهما يبلغ روحي منه السلام)).

فعليك أيها المؤمن أن تجعل الصلاة على رسول الله وآله خليقة من خلائقك الحميدة وتعتقد بقلبك أن ذلك من المكاسب المفيدة وتقول: كيف لا ألبي داعي الله وقد دعاني لما يحييني من الصلاة على أشرف مخلوق من الثقلين وهو نبيي وحبيبي وقرة عيني الذي بذل كل رخيص وغالي في حياته حتى أوصل إلينا الدين القويم وأوقفنا به على الصراط المستقيم، ولم يطلب منا مقابل ذلك إلا المودة في القربى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣]، صلوات الله عليه وآله أبداً وسرمداً إلى يوم الدين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ [النساء]:

الله سبحانه وتعالى عظّم حق الأيتام وحث على إكرامهم وعلى الاعتناء بشأنهم في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فما بالك بمن يتجرأ على أكل أموالهم ظلماً وعدواناً، قال «يأكلون» ولم يقل «يأخذون أو يغتصبون» وإن كانت دوراً أو عقاراً أو ذهباً أو فضة أو دواباً أو غير ذلك مما يتملك؛ ليصور الله شناعة فعل الظالم لليتامى بمن يتناول غذاء اليتيم المسكين وهو ينظر إليه مظلوماً مقهوراً ليس له معين ولا مدافع.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ **نعم،** أكل الحرام محرم عند الله، وجزاء صاحبه النار إلا إذا تاب وندم وتخلص، غير أن أموال اليتامى أقبح في أكلها وأشنع في أخذها، حذّر الله المسلمين بهذه الآية غاية التحذير أن لا تزل بهم قدم الأطماع إذا سنحت لهم الفرص وخلا لهم الجو بحيث لا مانع يمنعهم ولا دافع يدفعهم عن أموال المستضعفين من الأيتام؛ لأن الواجب التعطف عليهم والرحمة لأنهم فقدوا والدهم الحنون، فقدوا من كانوا يأوون إلى كنفه، فقدوا من كان يمسح على رؤسهم ويقبّلهم ويضحك في وجوههم فهم أذلاء بعد موته وفقراء وإن كانوا أغنياء بما خلف لهم، شبيه فراخ الطائر إذا أكل الصقر أمهم

وأباهم فهم حقيقون بأن يعتني بهم الأباعد فضلاً عن الأقارب فما بالك بمن يأكلون أموالهم من الأقارب ظلماً وعدواناً.

شبّه الله هذا المال وتناوله أنه نار يصل إلى البطون الجشعة؛ لأن عاقبته النار وبئس المصير.

نعم، أهل النار هم أهل القلوب القاسية الذين لا تؤثر في قلوبهم المواعظ ولا ينزجرون لزاجر غير أن الأيتام يحن عليهم الرحماء ولو كانوا كفاراً أو فساقاً؛ لضعفهم ومسكنتهم، شدد الله في هذه الآية وبلغ بها التهديد منتهاه.

نعوذ بالله من ظلم الأيتام والمستضعفين، ونسأله المخرج من حقوق المخلوقين، إنه أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ [القارعة]:

عبر الله سبحانه عن يوم القيامة وأهواله وشدائده وعن بعض ما فيه من الدواهي والطوام بهذه السورة الكريمة، القارعة هي التي

تقرع الأسماع من شدة الانفجار فلا سمع في ذلك اليوم إلا ويسمع هول ذلك الانفجار.

نعم، لا يذكر الله شيئاً في القرآن مرتين أو ثلاثاً إلا لعظمه، وقد كرر لفظ القارعة ثلاث مرات فينبغي أن يصغي السامع بسمعه لألفاظها ويحضر قلبه لتدبر معانيها فهي على قصرها وقلة ألفاظها تحكي مشاهد من مشاهد القيامة وأحوال الناس في يوم الطامة، وما تؤول عاقبة المتقين إليه، وأين عاقبة الخاسرين.

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ۝٤﴾ كل الناس قد جمعوا في صعيد واحد لا تغيب منهم نفس عاصية إلا وقد حضرت في ذلك اليوم العظيم فهم أمام الناظر كالفراش المبثوث يصطدم بعضهم في بعض ولا يدرون أين الاتجاه؛ إذ لا ملجأ ولا مأوى يأوون إليه، وكل فرد ينظر فيمن حوله قد يبس لسانه، وحجز عن الكلام لشدة ما رأى، فلا يرى إذا مد بصره في أي ناحية إلا بشراً فلا ماء ولا طعام ولا شجر ولا صديق ولا رفيق ولا زوجة ولا ولد، وتماماً كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا۝١٧﴾ [المزمل]، وكل ذلك ليس إلا بداية الأهوال والمصائب على أعدائه والنكال.

﴿الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ۝٥﴾ كالصوف المتشتت المتبدد كل قطعة من تلك الجبال كذرات الرمال حصل ذلك من هول الصرخة والانفجار، قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً۝١٤﴾ [الحاقة]، الأنساب والصداقة والعشرة في ذلك اليوم منتفية

قال تعالى: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون].

فالسعيد والحاذق وصاحب العقل من عقلها اليوم وما يعقلها إلا العالمون، صوّر في نفسك ذلك اليوم وأنك تطالب بحق من حقوق العباد كيف يكون حالك ولا يوجد معك نقير ولا قطمير، وصور نفسك وقد جاء دورك في الحساب وإذا بالملائكة آخذين بيديك إلى سجل الحساب إلى محل الربح والخسارة ربح إلى الجنة أو خسارة إلى النار، صدق الله العظيم: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم].

فريق يساقون إلى جنة الله التي أعدت لهم في رغد العيش وقرار النعمة ومنتهى الطمأنينة أُبدلوا من بعد خوفهم أمناً لشدة ما عاينوا من حال الأمم في المحشر فحين أيقنوا بالنجاح وفازوا بالفلاح كادت قلوبهم أن تطير فرحاً.

﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴿٧﴾﴾ أما الفريق الآخر فما وراءهم إلا الخسران والويلات، دقة في الحساب ما قد عرفوا لها مثيلاً، لم يعهدوا في الدنيا نطق الجوارح ولا حساب الضمائر شيء لا يعرفه إلا من رآه ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ﴿١١﴾﴾.

نسأل الله السداد وحسن الخاتمة، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران]:

﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حث الله المؤمنين في هذه الآية الكريمة علىٰ المسارعة والمسابقة والتنافس إلىٰ ما به يسعدون في حياتهم الدنيا وفي آخرتهم إن هم أجابوا داعي الله ولبوا طلبه وامتثلوا أمره، أمرهم الله بالمسارعة إلىٰ مغفرة ورحمة واسعة.

نعم، في أمره بالمسارعة إلىٰ مغفرة إشعارٌ بأن العرض الرباني له حدود لا يتعداها وقد حدد الله -جلت قدرته وعظمت منته- قبول توبة التائبين بورود الموت وحضور الملائكة لقبض أرواحهم وبعد ذلك تغلق أبواب التوبة في وجوه المجرمين.

انظر رحمة الله لعباده كيف قال سبحانه: ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ﴾ ولم يقل: إلىٰ توبة- أراد تبارك وتعالىٰ أن المغفرة واقعة وثابتة منه للتائبين وما عليهم إلا أن يفعلوا السبب بأن يجعلوا لمولاهم ومالكهم سلطاناً بالتوبة لغفران ذنوبهم ومحو سيئاتهم.

ثم انظر في قوله تعالىٰ: ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أراد أن يلفت أنظارهم بقوله ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ إلىٰ من رباهم، خلقكم تفضلاً منه تعالىٰ ورباكم برزقه وعنايته في بطون أمهاتكم وحفظه ثم سهل

خروجكم من بطون أمهاتكم إلىٰ أرضه وأثبت حبكم في قلوب الأمهات مع ما أودع فيهن من أرزاقكم، تنامون برحمته وهن يسهرن من أجلكم، يسعدن براحتكم وإن تعبن، خلق لكم هذا الرب كل متطلبات الحياة، وعرضكم بعد البلوغ علىٰ خيره العظيم في جنات النعيم فكيف لا تخجلون من ربكم، وتبادرون بتوبة نصوح إلىٰ ما حثكم عليه ودعاكم إليه من مغفرته فإذا استشعرتم ذلك وعدتم بعقولكم إلىٰ صوابكم ورشدكم فقد ظفرتم بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، وبتوبتكم الخالصة قد شملكم اسم المتقين إن أنتم أنفقتم ما يجب لله وللضعفاء والمساكين في أموالكم، وسواء كان ذلك في سراء أم في ضراء.

وقد كان الإنفاق قبل نزول آيات الزكاة من الواجبات فلما نزلت آيات الزكاة نسخت وجوب الصدقات من واجب إلىٰ مندوب قاله أمير المؤمنين وسيد الوصيين عليه سلام رب العالمين.

ثم قال جل شأنه: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران]، والكاظمين الغيض ما يكظم الغيظ عند وقوعه إلا عبدٌ غمرته رحمة الله وشملته هدايته، ما يكظم الغيض إلا مؤمن تداركه ربه بعنايته وألطافه؛ لأنه قلَّ من يكظم الغيظ ويتجرع مرارته حتىٰ ولو كان ذلك الغيظ وسببه صادراً من أحب الناس إليه، فالغيظ وقت الغضب يشبه القدور المضغوطة التي ما بداخلها يغلي.

ثم قال: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ العفو هنا شامل لقرابة الإنسان وللأباعد، والعفو يقع عن إساءة من الغير وتقصير عن حق من الحقوق فمن عفا فأجره من الله كبير وله عناية وتأييد من اللطيف الخبير، وما عفا أحد من المؤمنين عن إساءة مسيء إلا عفا الله عنه أكثر وأكثر، وختم صفات المتقين بقوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴿١٣٤﴾﴾ لله در الإحسان أين بلغ بصاحبه، إن كان لك عناية من الله أيها السامع فاصغ لما ختم به هذه الجمل القرآنية والرحمات الربانية والله يحب المحسنين.

ألا تحب أن تكون من أحباء الله؟ أَوَلست تعلم أن المصطفى سمي حبيب الله، لا تبخل بمالك كله حتى تحرم من هذا اللقب، وأنت يا صاحب الجاه اغنم جاهك ولا تتكاسل كي تحرم المحبة من الله، وأنت أيها الطالب للعلم أنفق من علمك كي تكون حبيباً لله، فكل ما يشكر عليه المؤمن هو عند الله إحسان.

اللهم ارزقنا أخلاقاً حميدة، وحلّنا بحلية الصالحين، وألبسنا زينة المتقين والمحسنين يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران]:

الفاحشة: ما يستفحشها أصحاب العقول من المعاصي مثل الزنا ونحوه ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بفعل بعض الذنوب التي يجب فيها التوبة من الندم والعزم على ترك العود إليها والاستغفار.

وقوله: ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ تَنَبَّه العاصي بعد الوقوع في المعاصي وخاف من غفلته واستشعر قبيح فعله ثم استغفر ربه وتاب إلى خالقه.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ الله هو الإله الذي تأله إليه القلوب عند الحاجة، لفظ الجلالة هو الاسم الجامع لصفات العظمة والكمال وهو القائل ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ سبحانه على كرمه العظيم ونعمه السابغة ورحماته المتتابعة.

ثم قال عز وجل: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ المصر على المعصية وإن تاب بلسانه فتوبته وعدمها سواء، فلا بد أن تكون التوبة عن الذنب صادرة من القلب بعزم وإرادة على ترك العود وقوله: «وهم يعلمون» أي: وهم يعلمون بأن فعلها ذنب من الذنوب المسخطة لله سبحانه وتعالى.

﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أولئك: مدحٌ من الله لهؤلاء التائبين وإشارة إلى بعد مقامهم ورفعتهم عند الله بعد أن طهروا نفوسهم بالتوبة إلى ربهم وخالقهم.

قوله: ﴿جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ الجزاء يقع من المجازي للمحسن على إحسانه فقد عد أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين توبة التائبين إحساناً عظيماً؛ بدليل ما وعدهم به من المغفرة والجنات التي تجري من تحتها الأنهار، فأي كرم أبلغ من كرم الله أو عطاء أعظم من عطائه.

ثم ختم الآية بقوله: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴿١٣٦﴾﴾ فالسعيد من نظر في نعم الله على عباده، وتشوق إلى حب الله ورضوانه وحمده في ليله ونهاره وعوّد لسانه ذكر الله والاستغفار وأمعن بنظره في جزاء المحسنين وفي ما أعد الله لهم في جنات النعيم وغنم الفرصة في دار الابتلاء والاختبار، يمسي شاكراً ويصبح ذاكراً حتى يرد عليه أجله ويأتيه ملك الموت لأخذ روحه وينقله من دار العناء والشقاء إلى دار السعادة والبقاء، يجاور في جنة الله أنبياءه وأولياءه، يتذكر عمله في الدنيا فيكون بذلك سعيداً، ويتنعم بما أعطى الله أولياءه وملّك أحبابه من القصور المبنية والحسان المرضية وبين البساتين والأثمار ومجالس العز والشرف على حافات الأنهار حيث لا هم ولا غم ولا فتور ولا ضجر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

اللهم اجعلنا من أوليائك ومن جندك ومن حزبك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الله تعالىٰ: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾ [الحج]:

الخصومة قائمة بين الحق والباطل ودائمة ومستمرة من زمن آدم عليه السلام وإبليس لعنه الله إلىٰ منقطع التكليف.

هذه الآية نزلت في يوم بدر فيمن يمثِّل المسلمين وهم: حمزة عم النبي وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث، وفيمن يمثل المشركين وهم: عتبة وشيبة والوليد بن عتبة.

قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذَانِ﴾ إشارة إلىٰ القريب وتدل أن الآية نازلة في حال قيامهما واستعدادهما للقتال أو بعد نهاية معركة الخصمين.

وقوله تعالىٰ: ﴿خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾ تأمل قوله: «في ربهم» الرب هو المربي، فالله سبحانه هو الذي ربىٰ عباده بنعمه وألطافه بعد أن تفضل عليهم بخلقهم وخلق ما يحتاجون إليه في هذه الحياة وركّب فيهم عقولاً يعقلون بها ما خلقهم من أجله وهو التكليف والابتلاء؛ ليعرضهم بذلك علىٰ الخير الدائم والسعادة والملك الأبدي فهو متفضل بجميع ذلك، ومن هذا يظهر شناعة

ظلم الكافرين وعظم كفرهم حين قابلوا هذه النعم بالتجبر والطغيان وحاربوا ربهم بمحاربة رسوله والمؤمنين فهم حقيقون بهذا الجزاء.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ الذين كانوا يتنعمون بالثياب الفاخرة لأنهم كانوا أهل ثراء، يلبسون ما شاءوا من اللباس، ويركبون أفضل الدواب، ويأكلون أحلى الطعام وأفخره، ويتزوجون بالنواعم من النساء، ومع ذلك هم يريدون قتل النبي وأصحابه طالبين في هذه المعركة قرابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخاصته للمبارزة ولم يكفهم ما لقّوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الإهانة والشتائم والمقاطعة وظلم من أسلم في مكة حتى هجّروا المستضعفين إلى الحبشة وبعدها أخرجوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة متخفياً منهم في ظُلَم الليالي، يريد نجاتهم من النار وهم يريدون قتله حسداً من قلوبهم وتمرداً على خالقهم وكفراً لنعم ربهم، فأنزل الله بهم في هذه الغزوة بأسه الشديد، عفرت خدودهم بين دمائهم والتراب، جاءوا مفتخرين متكبرين وعادوا إلى مكة أذلاء مهانين مقهورين، فقتْلهم وقهْرهم أول العذاب والعذاب الثاني أنهم يلبسون ثياباً من نار، والثالث يصب من فوق رؤسهم الحميم، الحميم هو شيء سائل شبيه الذوب إذا سال أو النحاس، فإذا صب فوق رؤسهم سلخ جلودهم وذابت لحرارته بطونهم، وهناك عذاب رابع، وهي المقامع بالحديد لهاماتهم التي كانوا يشمخون بها ويتكبرون برفعها على غيرهم.

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴿٢٢﴾﴾ العذاب الخامس: كلما طمعوا في فرج أو مخرج من ذلك الغم أعيدوا فيها ويقال لهم: ذوقوا عذاب الحريق مع ما وراء ذلك من العذاب سحب على وجوههم في قعر النار، شرابهم الصديد يقطع أمعاءهم ويسلخ فروات وجوههم يتجرعون سم الحيات والعقارب مع منتهى الجوع وغاية العطش جزاء من الله لأعدائه الكافرين.

نعم، نزول الآية خاص كما سلف أما الجزاء فهو عام لمن حارب الله ورسوله من حارب دين الله وعادى أولياءه وسخر منهم وتكبر عليهم وأراد طمس معالم الهدى والدين وضعة وإهانة أولياء الله المتقين، وسواء كانوا من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أم من الأمم السابقة، سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

فعلى العاقل أن يجد ويجتهد في معرفة الصدق وأهله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة]، وليعلم العاقل أن الجهل ليس عذراً، ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف].

نعم، سبيل الحق والنجاة واحدة، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((وستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة

كلها هالكة إلا فرقة)) فلا مخرج ولا نجاة إلا بالبحث والتنقيب عن فرقة الحق ولا يتم ذلك إلا بالعلم والمعرفة، ومن خرج عن سبيل الرحمن فإلى سبيل الشيطان وإن ادعى الإسلام، بعض الذين ينتسبون إلى الإسلام من المنافقين والمفسدين هم أشد ضرراً من أكثر الكافرين.

مَن الذي قتل الخيرة من المؤمنين من بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى يومنا هذا إلا سكان الدرك الأسفل من النار؟ أولهم الذين أحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار، فلا يزال غبار المعركة شاهراً ظاهراً بين الخصمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ونجنا برحمتك من مضلات الفتن إنك على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء]:

ويقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)) دلت الآية على فضل النصح للمؤمنين ولا سيما الضعفاء والمساكين، فكلام الساعي في قضاء حوائجهم من أفضل الكلام ومن أخيره، وكم ورد في فضل من أطعم جائعاً أو

سقى ظمآناً أو كسا محتاجاً، فالآمر بالصدقة دال على الخير، والدال على الخير كفاعله.

فمن أراد الهداية من الله والتوفيق والإعانة فليدب في خدمة المستضعفين وفي قضاء حوائج المؤمنين ولو لم يكن إلا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((قضاء حاجة مؤمن تعدل صيام شهر واعتكافه)) لكفى بذلك باعثاً على إبلاغ الجهد في منافع العباد.

قوله تعالى: ﴿أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ المعني بذلك الدعاة إلى الله المخلصون الذين همهم وشغلهم إنقاذ الناس من الهلاك ونجاتهم من النار.

قوله تعالى: ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ الإصلاح بين الناس من أفضل القرب المقربة إلى الله سبحانه وتعالى التي يثيب عليها ما لا يثيب على غيرها من النوافل، وقد ورد: «أن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام»، وكم يترتب على فعل المصلحين من المصالح الكبار ولا بد أن يكون الأمر بالصدقة والمعروف والإصلاح بين الناس خالصاً لوجه الله حتى يحصل صاحبه على الجزاء العظيم من رب العالمين، فالله سبحانه هو الذي قال: ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴿١١٤﴾﴾.

نعم، على الإنسان أن يأخذ بالأسباب وينظر في تيسير رزقه من الحسنات من أي الأبواب، هل في قضاء حوائج الضعفاء أم في تعليم الناس أم في وعظهم وإرشادهم أم في المصالحة بينهم، فمتى وجد له

باباً مفتوحاً فليسلكه وليحمد الله على ذلك، فالحمد بركة في الأعمال وسداد في الأفعال والأقوال، ومن الله نستمد العون والهداية، وهو على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران]:

لفظة «كل» تفيد العموم فلا نفس حية إلا وهي داخلة تحت هذا الحكم، وهذا معلوم عند كل مسلم.

قوله: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الذين يستحقون الأجور هم المكلفون من الملائكة عليهم السلام والإنس والجن، أما الملائكة فلا كلام في نجاتهم وفضلهم وسبقهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴿٦﴾﴾ [التحريم]، وأما الإنس والجن فمنهم الناجون والجم الغفير والعدد الكثير هم -والعياذ بالله- هالكون.

﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ﴾ بألطاف الله وبالأعمال الصالحة والتوبة النصوح ورحمة أرحم الراحمين وأدخل الجنة فقد فاز.

نعم، تأمل أيها الناظر بعين البصيرة في قول الله سبحانه: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ﴾ جاء الفعل مغير صيغة لنعلم أن الله بلطفه ورحمته يزحزح المؤمنين من الوقوع في النار بعنايته الربانية، ولو وكل الله الناس إلى

نفوسهم ما زكا منهم من أحد ولانكبوا على الشهوات وانغمسوا جميعاً في الشبهات.

فلما تعرضوا لرحمة الله بالامتثال في بداية أمرهم زادهم الله هدى إلى هداهم، وتجاوز برحمته عن سيئ أفعالهم؛ لأنه أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين، ومن أجل ذلك لو شكر الإنسان ربه ليلاً ونهاراً حتى يفني في ذلك عمره لم يؤد إلا قليلاً من كثير، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم]، ومن أقوى أسباب النجاة الالتجاء إلى الله وإظهار الافتقار، كيف لو وكلنا إلى أنفسنا وحولنا وقوتنا، وسلبنا التوفيق مقابل غفلتنا وإعراضنا في جلة أوقاتنا، وما يؤمننا من ذلك إذا تمادينا في الغفلة؟

فإذا أراد الإنسان أن يزيده الله توفيقاً فليكن على حذر من عواقب الأمور، ويمعن بنظره ويصغي بسمع قلبه إلى ما تحكيه آيات الوعيد والتهديد، من عذاب المجرمين، ومن تعذيب الملائكة لأعداء الدين، وعلى كل عاقل أن يعلم أن الله غني عن الكذب وعالم بقبح القبيح وأن الكذب من جملة القبيح.

إذاً فكل ما هدد الله به المجرمين في كتابه وعلى لسان رسوله فهو واقع لا محالة.

نعم، لو يعطى إنسان ذهب الدنيا وفضتها على أن يوضع في كفة يده جمرة موقدة في كل شهر حتى تنطفئ وتبرد لما أطاق ذلك، ولو كان أطمع بشر على وجه الأرض، فكيف بالعاصي إذا تحول في جهنم إلى

كتلة جمر وقيد بقيود من جمر جهنم؟ فراشه نار، وأكله نار، وشرابه نار، ونَفَسه نار، خاضع لجميع المصائب من تجرع سموم الحيات والعقارب ومقامع الحديد وشراب الصديد.

حزنهم في جهنم سرمدي، وصراخهم دائم أبدي، يتولى عذابهم ملائكة غلاظ شداد، الأقارب في جهنم يلعن بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض وكذلك الضعفاء والأقوياء، من كانت له زوجة مؤمنة فهي عليه شامتة تنظر إليه في جهنم وهو يراها في غاية النعيم وقد زوجها الله أحد أعداء زوجها من المؤمنين، وكذلك غيرهم من الأقارب، فوالد في النار وولد في الجنة والعكس من ذلك.

فعلى طالب النجاة أن يفكر في هذه الأمور وما شابهها كي يحذر من التمادي والغفلة ويستعد للآخرة بالأعمال الصالحة والتجارة المربحة، نسأل الله السلامة من الغفلة، ونسأله بمنه وكرمه ورحمته تيسير سبل الهداية إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وبه نستعين:

﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ۝٥﴾ [الفجر]:

أقسم الله تبارك وتعالى بالفجر لما فيه من الآيات الباهرة والنعم الغامرة والحجج المتظاهرة، فمن آيات الله في هذا الوقت رفع الحمل الثقيل عن الصباح وهو الليل الذي شبهه الله عز وجل باللباس الساتر والغطاء الغامر الذي تكمن المخلوقات من جامد وحيوان

ونبات بداخله، فلما رفعه بقدرته الربانية نعمة من الله على مخلوقاته ومنّه على عباده لفت أنظارهم إلى هذه النعمة بالقسم القوي، ولأنه وقت تؤدى فيه فريضة سميت قرآناً كما قال عز وجل: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء]، لذلك أردفه سبحانه وتعالى بعشر ذي الحجة؛ لفضل العمل فيها على سائر الأيام، ولأنها تؤدى فيها فريضة الحج وتكمل فيما بعدها، فهذان الوقتان من أفضل الأوقات ونعمتان من نعم الله المسبلات، ولما كانت المخلوقات من الحيوان تحتاج لما يغذيها من أرزاقها وللسعي في طلب معائشها جُعل الفجر من نعم الله البالغة عليها؛ لأنه بداية يوم جديد ترى فيه بأعينها كل ما تحتاج إليه من غذائها.

نعم، الشمس تطلع على كل أهل الأرض والفجر يتقدمها، شيئان متلازمان لا ينفكان عن ذلك ونظامان متسقان لا يبرحان كذلك، فسبحان من وضع الأشياء في مواضعها! وقسمه تعالى بالعشر كذلك لما فيها من نعمة الله على عباده بالحج الذي هو سبب في كل خير من غفران الذنوب، في الحديث عن المصطفى ﷺ: ((الحج المبرور ليس له ثمن إلا الجنة)) ولما يعطي الله حجاج بيته من الخَلَف في أرزاقهم، عنه ﷺ: ((من أراد خير الدنيا والآخرة فليؤم هذا البيت))، ولما في يوم عرفة وأيام منى من الاعتبار، وكون يوم عرفة يشبه يوم الحشر لاجتماع الخلائق في ذلك اليوم وفي لبس واحد أسودهم وأبيضهم، وذكرهم وأنثاهم، يتنقلون بجمعهم في

تلك المشاعر فلفت الله أنظار العقلاء إلى هذه المشاهد العظيمة بقسمه بالعشر جلت عظمته. ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴿٣﴾﴾ ضمّن الله هاتين اللفظتين كل مخلوقاته صغيرها والكبير، ما يرى وما لا يرى، فلا شيء يعلمه الله مما يُعَدّ إلا وقد دخل في هذين العددين، فسبحان من أحصى كل شيء عدداً وأحاط بكل شيء علماً! هاتان اللفظتان اللتان أقسم الله بهما تضمنت ما في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام]، وما في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴿٤﴾﴾ [الحديد].

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴿٤﴾﴾ الليل سريانه مستمر متنقل لا يغيب عن سكان أهل الأرض وهو من آيات الله العظيمة ونعمه البالغة، وفي هذه الأشياء التي أقسم بها خالقنا ترَقٍّ من أدنى إلى أعلى وهي تشعر بغاية الغضب على أعداء الله الكافرين بدليل ما تضمنت من المعاني وما بعدها من التهديد، وجواب القسم محذوف وتقديره: لنعذبنهم، أو لنهلكنهم.

ثم ذكر الله عذابه لثلاث من الأمم طاغية أولها: عاد قوم هود عليه السلام، وقد ذكر الله قوتهم وما كانوا عليه في آيات أخر، وأنه عذبهم بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام

حسوماً، وأنها لهوانهم على الله تركتهم كأعجاز نخل خاوية.

وبعدهم: ثمود قوم صالح وما كانوا فيه من القوة ومن نحت الجبال التي اتخذوا منها مساكن، فأهلكهم الله لعصيانهم وقطع دابرهم، وختم العبر للمؤمنين والتحذير لأعداء الدين بذكر الفراعنة المجرمين وما كانوا عليه من القوة والبطر، وأنهم صنعوا في زمانهم أشياء لم يبن مثلها مَنْ تقدمهم من خلق الله أجمعين، وهي الأهرام التي ما زالت إلى اليوم قائمة، وأنه أوقع بتلك الأمم النكال، وصب عليهم سوط عذابه والوبال محذراً بذلك قريشاً ومن يأتي بعدهم من المجرمين الغافلين؛ بدليل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴿١٤﴾﴾ [الفجر]، نسأل الله رحمته، ونعوذ به من نقمته وعذابه.

ثم انتقل الكلام إلى تصوير حال الإنسان وطباعه وإلى أقواله ومعتقداته: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴿١٥﴾﴾ يشهد لنفسه في حال الرخاء أنه من أكرم خلق الله على الله، وخلائقه هي الخلائق المرضية، فمع النعم يبدي له في كل يوم من نفسه جديد من الفضائل وقد حاز الجم الغفير من الشمائل والله يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴿٣٢﴾﴾ [النجم]، وفي هذا دليل على أن فتنة النعم هي أعظم من فتنة أضدادها، فمن أراد العلاج الناجح لنفسه الأمارة بالسوء فليتهمها ويكثر من توبيخها، وإن لم يفعل كذلك ألقت به في مستنقع الغرور ومزبلة المخازي والشرور.

انظر أيها العاقل في أحوال من يشهدون لأنفسهم بالنجاح ويحكمون لها بالهداية والفلاح كيف زلت بهم القدم من طريق الهدى إلى الضلال وتحولوا من أصحاب معرفة إلى ضلال أعواناً للظالمين وحرباً لله ولرسوله وللمؤمنين، نسأل الله السلامة من محبطات الأعمال ومدنيات الآجال إنه على ما يشاء قدير.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴿١٦﴾﴾، فهذه خليقته الثانية مع الفقر التضجر والتغبن مما هو فيه يشكو ربه ولا يعترف له بنعمة، ولم ينظر فيما كان أنبياء الله عليه من الحاجة والفقر والخوف والعناء وهم أشرف خلق الله من البشر، والله على غناهم ونصرهم قادر، غير أن الله رفعهم بتلك الخلائق إلى ذروة الكمال حين صبروا وعلى ما هم فيه من المصائب والعناء شكروا، اعتقدوها نعمة من ربهم وخالقهم لما يحوزون عليها من الأجور الأخروية، ولأنها صغَّرت الدنيا في أعينهم وحقَّرتها في عقولهم فعدوها من نعم الله البالغة وأياديه السابغة.

ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴿٢٠﴾﴾ «كلا» ردع لهم وزجر عن مقالتهم المسخطة لخالقهم ورازقهم، فالإكرام من الله بعطائه للإنسان لا يكون كرماً مطلقاً، وكذلك الإقتار ليس إهانة على كل حال،

فمن أعطاه الله سبحانه وتعالى خيراً في هذه الدنيا وهو لربه شاكر وعلى دين الله صابر فلا شك أنه إكرام من الله لوليه، ومن لم يكن من أهل التقوى والدين بل هو من العصاة الغاوين فليس إكراماً له بل هو فتنة له وابتلاء، وشمسه تشرق على البر والفاجر والمؤمن والكافر، وليست الدار دار جزاء بل دار عناء وبلاء كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥]، وكذلك التقتير في الرزق على بعض العباد لا يكون إهانة مطلقاً فالأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه عاشوا فقراء، وكذلك أتباعهم إلا القليل وهم صفوة الله من خلقه وخاصته من بريته، وردّ الله على من يقول إن الله أهانه بقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠)﴾ فالمنكب على المعاصي من أهل الثراء لا يكون عند الله كريماً، وليس ما أعطاه ربه تكريماً، وكذلك الحرمان من الله قد يكون على عبده الصالح غاية الرضا.

ثم قال عز وجل: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤)﴾:

«كلا إذا دكت الأرض» ردع لهم عن غفلتهم وتماديهم وإعراضهم عما يراد بهم، فالذي بسط الأرض ومهدها وخلق الشواهق من الجبال ونصبها هو القادر على دكها وتفتيتها، ﴿وَحُمِلَتِ

﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴿١٤﴾﴾ [الحاقة].

قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴿٢٢﴾﴾ هو عبارة عن وقت محاسبته الخلائق وإنصاف المظلومين، فالمتولون للحساب في ذلك اليوم العظيم هم ملائكة الله الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

أما الله سبحانه وتعالى فلا يغيب عن خلقه حتى يكون المجيء حقيقة ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة:٧].

ثم قال: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ الخوف والذل والانكسار بلغ منتهاه عند كل كافر وفاجر مما عاينوا من دقة الحساب وغضب الملائكة، وغياب الحيل والأعذار وعدم قراباتهم والأنصار، ومع ذلك وغيره من المصائب فوجئوا بجهنم تقرع أصواتها آذانهم ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴿١٢﴾﴾ [الفرقان]، عند ذلك تذكروا ما كانوا عليه من الغفلة في الدنيا والمغالطة والإعراض والمحاربة لأولياء الله من أنبيائه وأوليائه، فكم حجة بالغة طرقت أسماعهم لا يلقون لها بالاً إلا في ذلك اليوم ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿٢٠﴾﴾ [فصلت]، وعند ذلك بلغ الندم منتهاه وظهرت الحقائق من ألسنتهم وقالوا معترفين: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴿١٠﴾﴾ [الملك].

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾ فمهما بلغ تعذيب الظالمين في هذه الدنيا فإنه لا يعد عذاباً عند عذاب ملائكة الله للمجرمين وكذلك القيود في جهنم فهي سلاسل من جمر جهنم ومن حديد جهنم لا تتكسر ولا تحل من أيدي وأرجل العصاة الخالدين في عذاب الله.

ثم قال: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾.

اللهم بحق أنبيائك وملائكتك نسأل، وبجاه رسولك محمد وأهل بيته نتوسل أن تصرف عنا مضلات الفتن، وأن تدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ووالدينا والمؤمنين والمؤمنات أجمعين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [التوبة]:

مدح الله أهل قبا غاية المدح وأثنى عليهم بأفضل الثناء، وأخبر سبحانه بما انطوت عليه سرائرهم من حبهم للتطهر من جميع النجاسات، وأخبر بخلوص نياتهم في عبادته؛ بدليل: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ فلا تقوى إلا من القلوب الصادقة والنوايا الخالصة.

نعم، سألهم النبي ﷺ عن تطهرهم الذي أثنى الله عليهم به فقالوا: «إذا بلنا أو تغوطنا أتبعنا الحجارة الماء»، فالتطهر له أهميته البالغة في الإسلام، قال الله تعالى آمراً لخير خلقه ﷺ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر]، عندما مر رسول الله بقبرين أشار إليهما قائلاً: ((إن هذين ليعذبان وما يعذبان في كبير كان أحدهما يمشي بالنميمة والآخر لا يتنزه عن البول)) أو كما قال، وقوله: «وما يعذبان في كبير» أراد أنهما كانا لا يلقيان لذلك بالاً أي: لا يتحاشيان عن هاتين الخلتين، فصاحب النميمة لا يحسبها ذنباً، والآخر لا يبالي بما تطاير فيه أثناء البول من بوله، وقد رأيت بعض الناس ونحن في سفر إذا ذهب من أجل بول أو غائط فسرعان ما يأتي، وإذا وقفنا عند مسجد لأداء الصلاة أداها بين تلك الثياب والسراويل حتى أنك تحس بذلك من خلال دنوه منك، والروائح الكريهة التي تظهر من ثيابه.

فعلى المسلم أن يقتدي بمن مدحهم الله في هذه الآية الكريمة حتى يدخل في مدح أرحم الراحمين، وفي حب أرحم الراحمين، وليعلم المسلم أن أكثر الأمراض المستعصية والآلام المزمنة سببها لصوق النجاسات وعدم التنزه منها.

قيل في الأوساخ المتراكمة تحت الأظفار: إنها مداخل الشياطين، وكذلك العرق والتراب والدسومات إذا تراكمت على الجسد هي سبب وداع لأمراض عديدة، وبها يكرِّه الإنسان بنفسه عند

الآخرين، فكل يتحاشا عن مجالسته وقربه، وقد رأيت ذلك بعيني وليس الخبر كالعيان، من أجل ذلك أمرنا ربنا وخالقنا العالم بمصالحنا وما يضرنا بقوله جل شأنه: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١]، وشرع الغسل في يوم الجمعة لأجل الروائح الكريهة عند الزحام في المساجد لأداء صلاة الجمعة.

انظر أيها المسلم إذا دنا منك رجل نظيف الثياب نقي البشرة من الأوساخ نظيف الأسنان فإنك تشعر براحة له ومنه، وتحب مجالسته، ويلحق بذلك البيوت المسكونة إذا دخلتها ورأيتها نظيفة داخلها وما حول أبوابها فإنك تحس براحة من نفسك، ويحصل لك الضجر بعكس ذلك، وعلى المسلم أن يعتني بعد الاستنجاء المطهِّر بوضوئه للصلاة، من غسل اليدين وتنظيفها بعد غسل الوجه، والمبالغة في المضمضة والاستنشاق، وعند التغشي يمسح أذنيه خارجها وداخلها، وكذلك القدمين يهتم بنظافتهما لا سيما باطنهما مع ظاهرهما.

اللهم اجعلنا ممن شملتهم مديحتك لأهل قبا يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم]:

تأمل يا طالب النجاة في عناية الله وتشريفه لهم وفيما وسم به أعداءه من الذل والانكسار والإهانة.

نعم، يؤخذ من الآية الأولى أن من شملتهم رحمة الله وعفوه ومغفرته قد أمنهم من أهوال وطوام يوم القيامة وأنهم من الخوف والمناقشة وشدة الحساب آمنون، بعثوا ليكرموا، وحشروا لينعموا، فالأمان الذي واجههم به ملائكة الله عند الموت أبدي، والتعظيم لهم من خالقهم سرمدي، الموفِد والموفَد إليه واحد وهو الرب العظيم الرحمن الرحيم.

نعم، الوفد إذا قدم من بلد بأمر قائده إلى بلد أخرى فإنه يشرف ويكرم، ولا يوفد الملوك إلا النخبة من حاشيتهم ووزرائهم، والملك الذي يستقبلهم يهيء لهم كل ما يحتاجون إليه ويتحفهم بعظيم من الهدايا وأهل مملكته ينظرون إليهم نظر إعجاب وتعظيم، كذلك أولياء الله يبعثهم الله جلت عظمته بيض الوجوه آمنين مطمئنين، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، آخذين كتبهم بأيمانهم يقول قائلهم: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ [الحاقة]، ينظرون إلى أعداء الله وقد اسودت وجوههم ويبست شفاههم من شدة العطش وألسنتهم، فلا يقفون موقفاً من أرض المحشر إلا عمهم التكريم من ملائكة الله والتبجيل،

وكلما قربوا من الجنة زيد في تعظيمهم وتكريمهم، الخبر ثابت ومستقر في قلوبهم أنهم من أهل الجنة، وإذا بالجنان وما أعد الله لهم فيها أمام عيونهم فليس الخبر كالعيان، قال الله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ۝٣١ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ۝٣٢﴾ [ق]، تبرز لاستقبالهم مع ملائكة الله الحور الحسان فلا يستطيعون التعبير عما في نفوسهم ولسان حال أحدهم يقول: هذا حقيقة أم خيال؟! كل ذلك قد أعده موفدهم والوافدون إليه، فالقصور من الأحجار النفيسة مبنية، والأنهار من جميع الأشربة مطردة، والوجبات الشهية ترد عليهم في أوقاتها يقدِّمها خدم لهم النظر في صورهم وملابسهم يغني عن الطعام والشراب، يكفيهم من التعظيم أنهم وفد الله، ومن التشريف أنه يستقبلهم أهل ولاية الله، قد سبق أنه يتحف الوفد بتحف من أنفس الهدايا ووفد الله يتحفون بالملك الأبدي والتعظيم السرمدي، يتحفون بالنساء المطهرات، خلقت كسوتهن خلقاً، النظر في وجوههن يبرئ السقيم، ومهاواتهن تغني عن الطعام والشراب، بماذا استحقوا هذا اللقب الذهبي وسموا وفد الله؟ لأنهم داسوا الغدْرَ والمكر والاستخفاف بخلقه بأقدامهم، ملأوا قلوبهم بالرحمة للمستضعفين من الأيتام والضعفاء والمساكين، وذموا أنفسهم بالصدق، فعرفوا قدر العلماء وطلبة العلم والمؤمنين، توجهاتهم إلى خالقهم يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم).

فمن أراد أن يكون من وفد الله فلينظر ما عنده لله ولا يغالط نفسه بالأماني الكاذبة والوعود الخادعة فطريق الله التي حفت بالمكاره واحدة، وطرق الباطل المحفوفة بالشهوات متعددة.

نعم، من لم يكن من وفد الله فهو من أهل قوله: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴿٨٦﴾﴾ [مريم]، يساق أعداء الله المجرمون إلى جهنم سوقاً تسوقهم الملائكة بلا رحمة ولا شفقة، تتفتت كبودهم من شدة العطش وقد خولطوا من شدة الخوف، يدعون بالويل والثبور حيث لا إقالة لعثراتهم ولا غفراناً لزلاتهم، ومما يزيد في عذابهم أن الله يريهم أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار؛ لأنهم كانوا لا يرعون لله حرمة فلا يغضبون لخالقهم ولا يشكرون رازقهم وكانوا يسعدون بقهر المستضعفين ويتلذذون بأذية أولياء الله المتقين، ديدنهم التزكية لأنفسهم وإلصاق التهم في المؤمنين، فلما عاينوا جهنم انقطعت الحيل وضلت السبل وعلموا أنها مصيرهم، لهم في كل وقت قادم جديد من العذاب، نعوذ برحمة الله من غضبه وبعفوه من عذابه إنه أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

قسم الأحاديث النبوية

[الناس كلهم هلكى..الحديث]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يقول النبي صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين: **((الناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم))**:

هذا الحديث النبوي الشريف حقيق بأن يلقي له المكلف باله ويصغي له بسمعه ويقول عند سماعه أو قراءته من صميم فؤاده: يا الله أسألك السداد وحسن الخاتمة، «الناس كلهم هلكى» ما أراد صلى الله عليه وآله وسلم بالهلاك؟ أراد بالهلاك الخلود في نار جهنم والعياذ بالله، بين مقطعات النيران وأنواع العذاب، «إلا العالمون» العالمون بعقيدتهم ودينهم وما به رب السماوات والأرض كلفهم -وكفى والله الذي لا إله سواه- بهذا الحديث باعثاً على طلب العلم والمعرفة، كفى بهذا زاجراً وباعثاً للكبار على سؤال أهل العلم عن معالم دينهم، وباعثاً لهم على حث أولادهم وأهاليهم على طلب العلم الشريف، وليعلم كل راع لأسرة أنه لا مخرج له عند الله إلا بتعليم أسرته عند العلماء والمرشدين، وأنه إذا قصر في ذلك مسؤول عند الله يوم الدين: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون)) لا بد من العمل بما به كلفنا ربنا وإلا كان الإنسان شبيه إبليس لعنه الله حين امتنع مما أمره الله به من السجود لآدم، عبَد الله ستة آلاف سنة قاله أمير المؤمنين وقال عليه السلام: (من ذا بعد إبليس يسلم).

فالحذر كل الحذر من التمادي والغي والغفلة عن تطبيق ما كلفنا به ربنا، من صلاة وصيام وحج وزكاة وبر والدينا وصلة أرحامنا، وقبل ذلك كله من العلم وطلبه وسؤال أهله، فلا مخرج ولا نجاة عند الله إلا بالعلم والعمل، وإلا فالأمر كما قال الله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ۝٢٢٧﴾ [الشعراء].

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون)) فلا عمل من أعمال الآخرة مقبول يثاب عليه صاحبه وينجو من تبعاته إلا إذا كان خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى يشهد لذلك: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة:٥]، ولا عذر للجاهلين بدينهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا۝١٠٤﴾ [الكهف].

نعم، الإخلاص هو الروح لكل عمل أخروي، وبدونه يكون العمل ميتاً مستقبحاً عند الله وعند أنبيائه وملائكته، صاحبه ملوم مذموم مأثوم.

فلو لم يكن باعث على التوبة وتكرار الاستغفار في الليل والنهار

إلا الخوف من عدم الإخلاص في الأعمال الأخروية لكفى؛ لأن الله ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه]، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ۝١٩﴾ [غافر]، ﴿يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة:٢٣٥].

عليك أيها المكلف لا سيما طلبة العلم الشريف أن لا تعرض نفسك لطلب الشهرة من إمامة مسجد أو خطيب جمعة، ولا أقصد بذلك منع الطلبة من ذلك ولكن لا يحس الطالب أن السعادة في الخطابة أو الصلاة بالناس أو غير ذلك من الأمور التي يشتهر فيها أمره، وإذا تحاشاها الإنسان خوفاً من عدم الإخلاص فسوف تصل إليه وتكون بتلك المقدمات خالصة إن شاء الله، وهذا ما أوصاني به سيدي حسين بن حسن رحمه الله رحمة الأبرار.

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((والمخلصون على خطر عظيم)) لأن الأعمال بخواتمها نسأل الله العظيم أن يرزقنا الإخلاص في كل قول وعمل، وأن يجنب أعمالنا من المحبطات وجميع المؤمنين والمؤمنات، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

[أفضل الأعمال]

بسم الله الرحمن الرحيم

سأل رجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: أي الأعمال أفضل يا رسول الله؟ أجابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **((العلم بالله))**، كرر السائل سؤاله ثلاث مرات يسأل عن أفضل الأعمال والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يجيبه كذلك قائلاً: **((العلم بالله))** فقال الرجل: أسألك عن العمل يا رسول الله،

فتجيبني بالعلم؟ قال: **((ويحك إن مع العلم ينفعك كثير العمل وقليله، ومع الجهل لا ينفعك كثير العمل ولا قليله)):**

هذا دليل واضح أنه لا بد على المكلف من طلب العلم ليعرف الله أولاً فالجاهل بالله يكون عمله غير مقبول، ولا بد أن يكون بما كلفه الله به عارفاً من صلاته وصومه وبقية الواجبات، فأول ما يجب على البالغ العاقل ويتحتم أن يعلم ويعتقد أن الله واحد أحد لا يشبه شيئاً من مخلوقاته، وأنه لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وأنه قادر على جميع المقدورات لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وأنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام؛ لحكمة بالغة يعلمها وإلا فخلقها في وقت واحد قصير وخلقها في آلاف السنين عنده جلت قدرته سواء، وكذلك خلقه للنملة كخلقه للنخلة سواء كما قال أمير المؤمنين. وكذلك خلقه للنخلة وخلقه للسماوات سواء؛ لأنه سبحانه لا يحتاج إلى آلات في خلقه للأشياء مثل المخلوقين؛ لأن قدرة المخلوقين محدودة وقدرة الله سبحانه وتعالى غير محدودة، قال تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان:٢٨]، وحكى لنا قدرته على خراب الدنيا بما فيها يوم القيامة بقوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة]، وبقوله تعالى حكى لنا قدرته على تفتيت الجبال وتفجيرها: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه].

فهو القادر على جميع المقدورات في وقت واحد وصغيرها مثل كبيرها لا يقع عليه مشقة في كبيرها ولا عدم المشقة في صغيرها فالكبير من المقدورات والصغير على حد عنده سواء؛ لأنه خلق الأشياء من العدم، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس]، فعبر سبحانه بقدرته على جميع الأشياء بهذه الآية الكريمة.

انظر كيف خلق الحيوانات أصنافاً مختلفة، وألواناً متفاوتة، انظر فيما يؤكل من الحيوان تختلف في صورها وأشكالها وألوانها وفي منافع لحومها وألبانها وصوفها ووبرها وجلودها، وكذلك أصواتها، وذللها للأطفال من بني آدم يقودها ويسوقها الصغير والكبير، فجميع الفوارق تدل على خالق قدير حكيم، وعلى رب بكل شيء عليم، يعلم ما خلق في وقت واحد لا يخرج عن علمه شيء في لحظة من اللحظات ولا وقت من الأوقات، هو الذي يجري دماءها في عروقها ويشغِّل نبضات قلوبها وحركات عيونها وفتح وإغلاق جفونها، وكذلك مدها وقبضها لمفاصلها، ويتولى سبحانه وتعالى تفريق المصالح من أطعمتها وأشربتها إلى جميع أعضائها، وهو الذي يتولى بعنايته الربانية وقدرته الإلهية خلق صغارها من بدايتها إلى نهايتها، ويعلم كم تحتاج إليه من الغذاء في بداية تكوينها إلى إتمام خلقها، يقبض أنفسها في منامها لتستريح من متاعبها، ويردها في يقظتها، سبحانه من قادر عليم، وبارئ حكيم، نعرفها بأشكالها وأسمائها.

ومن أعظم الدلائل على أنه سميع بصير ما خلق لها من حواس السمع والبصر واختلاف ألسنتها، نظام واحد بديع، تحتار فيه كل العقول.

انظر من الذي لوَّنها وصبغها بتلك الألوان الباهرة، التي تروق لأعين الناظرين، وتنشرح للنظر إليها صدور العارفين، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾﴾ [يس].

كذلك النبات الذي يخرج من الأرض، الله عالم بصغيره وكبيره، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد].

العنب أصناف مختلفة في أشكاله وألوانه ومنافعه وطعمه، من الذي صبغ الأبيض منه بالبياض؟ والأسود بالسواد؟ والأحمر بالحمرة؟ فهذا العنقود حباته مدورة سود، وذلك مدورة حباته بيض، وآخر حبته مستطيلة، خالف جلت قدرته بين طعمها وبين منافعها، يعلم الفوارق سبحانه وتعالى بين أثمانها، وجعل للإنسان ذوقاً وشهوة يفرق بين غاية محبوبها وما دونه في ذوقها، من أين خلقت هذه الأشياء؟ ومن الذي خلقها؟ إلا رب موجود، قادر عليم، حي سميع بصير، ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا

عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ۝٣٥ سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ۝٣٦﴾ [يس]، وكذلك بقية الدواب والنباتات غير المعروفة عندنا وغير المرغوبة خلقها دلائل على قدرته، فالنظر فيها وفي خلقها يقوي معرفة البصير بخالقه ويزيده ثباتاً وركوناً ووثوقاً برازقه، فسبحان من خلق فسوى وقدر فهدى وأخرج المرعى فجعله غثاءً أحوى!!

وعليك بالإكثار من التفكير، فالتفكر حياة قلب البصير، قال ذلك سيد الوصيين وإمام المتقين مَنْ هو مِنَ النبي بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: **((لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم))**:

ثمرة تطبيق هذا الحديث عاجلة في الدنيا قبل الآخرة، كما أن عقوبته كذلك؛ فإنك لا ترى بلدة من البلدان تعاون أهلها على إحياء دين الله القويم، إلا نصرهم الله على الشيطان الرجيم وعلى أعوانه من الإنس واستقامت حياتهم وصلحت أحوالهم.

نعم، الإرشاد في البلدان بمثابة العافية في الأبدان بعد البلاء المنهك، يرون ذلك بأعينهم فلا بلد فيها مدرسة علمية إلا سعد

أهلها على قدر همتهم وإقبالهم، بينما بلدة أخرى محرومة من الإرشاد ينظر إليها الناظر ويقول: هؤلاء أموات الأحياء.

فالسعيد -والله العظيم- من تسبب للعلم والإرشاد بأن يصل إلى بلده فهو بذلك العمل وبتلك العزيمة من دعاة الدين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت]؛ لأن الإرشاد أقوى سبب في أداء الواجبات واجتناب المحرمات، ولا يقود الإرشاد إلى بلده ويوصله إلى مجتمعه إلا أزكاهم عقلاً وأكرمهم نفساً، وأسعدهم حظاً، قد حضي من الله بتوفيق وسداد وهداية ورشاد؛ لأن الإرشاد والعلم عافية من أمراض الجهل القاتلة وخلاص من حبائل الشيطان العالقة.

فالبلد التي ليس فيها إرشاد ولا منها طلبة علم إذا نظر الناظر في أحوالهم تذكر قول أمير المؤمنين في أصحاب القبور: (جميع وهم آحاد)، قد ملئت قلوبهم ضغائن وأحقاد، لا يرعون لله حرمة في ضعفائهم، ويقطعون أرحامهم، أنصار لكل فاجر، وأعوان لكل غادر، يجرعونهم الظلمة مرارة الإهانة، يستبيحون حرمهم، ويأكلون أموالهم، يزوجون بناتهم على غير رضا خوفاً من سطوات المجرمين.

فلا حياة طيبة وعيشة هنية إلا بالعلم والمعرفة، غير أنه لا بد من العمل المجهد حتى يعرف الناس قدر العلم والمعرفة ويقبلوا على مدارس العلم، مَثَلُ من يريد تأسيس مدرسة علمية في بلده وبين مجتمعه كمن يقوم للزراعة من بداية أمره لا بد أن يتعب ويخسر سنين حتى يحصل على مكاسب الأثمار، وتعود عليه بالفوائد،

كذلك من دفعه دافع الإيمان وحركته الغيرة عندما يشاهد الصلاح والنماء والهداية في البلدان الأخرى، فإنه لا بد له من العزيمة القوية والصبر والتحمل لكلام الطاعنين ومعارضة المعارضين، ومن فعل ذلك فقد أخذ بأقوى الأسباب للحصول على تأييد الله وعونه وقهر الشيطان الرجيم وحزبه، وصدق الله العظيم حين قال عز وجل: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ۝١٢٨﴾ [الأعراف].

كم عارض المعارضون الجهال داعي الله في أي بلد وبعد فترة من الفترات تحولت عداوتهم إلى ثناء على ذلك الداعي قائلين: لولا ذلك الشخص لكنا عمي البصائر وجهلاء، لكن ببركة ذلك الشخص تعلمنا وتعلم أولادنا ونساؤنا وسلمنا من التظالم ومن قطيعة الأرحام، فقد حول الله عداوتهم إلى محبة، وبغضهم إلى رحمة، وصدق أرحم الراحمين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا۝٩٦﴾ [مريم].

فالواجب على كل مؤمن تقي وصاحب عقل زكي أن يكون الفائز بصلاح مجتمعه ولو دفع أغلى الأثمان، وما عليه إلا فعل الأسباب وسيعينه الله ويفتح الله له الأبواب فيكون سبباً في عمل المعروف من الواجبات وترك المنكر من المحرمات، وكما ورد: ((نية المؤمن خير من عمله)) ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج:٤٠]، ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ۝٤١﴾ [الحج:٤١]، وصلى الله وسلم على أنبياء الله وعلى نبينا محمد وآله الطاهرين.

[صلاح ذات البين]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: **((صلاح ذات البين أفضل عند الله من عامة الصلاة والصيام، والحالقة المبيرة هي التفرقة، ولا أقول حالقة للشعر ولكن حالقة للدين))**:

كم تكرر هذا الحديث على الألسن من الخطباء والمصلحين بين الناس ولا أحد يسمعه إلا ويقول: صدق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قول باللسان فقط!! أما التطبيق فقَلّ من يرتدع عند سماعه أو يعمل بموجبه.

فلا أدري ما هو السبب حتى أنك تنصح أشخاصاً من أهل الدين وتحدثهم بهذا الحديث فلا تجد لكلامك سماعاً بل تلقى العكس من ذلك، وأنا أعتقد أن الفرقة والخلاف من سلع إبليس النفيسة ولها نضائر في دكانه لعنه الله، من ذلك النصب والعداوة لآل محمد، ومن ذلك التقصير في حقوق الوالدين، ومن ذلك عدم الطاعة من المرأة لزوجها في كل الأمور، ونحو ذلك من الذنوب الذباحة للدين، التي لا يبقى معها نور في القلوب ولا هداية.

انظر أيها المؤمن بعين قلبك في هذا الحديث وأمعن فيه النظر كيف جزاء العامل بموجبه، وكم أعطى الله من الفضل لمن طبقه.

((أفضل من عامة الصلاة والصيام)) ركعتان أو أربع ركعات على المكلف ثقيلة إلا عند القليل، وكذلك صيام يوم واحد نفلاً كذلك ثقيل فما بالك بشيء هو أفضل من عامة الصلاة والصيام إن

أنت تلقيت الحديث بالقبول وصبرت فزت بالحظين معاً السلامةُ بموجب الصلح من الشواغل القلبية والفوزُ بالثواب الجزيل الذي يعطيه الله مَنْ صالح وأصلح ويزيده الله أكثر مما يعطي أهل النوافل من صيام وصلاة.

انظر بالله عليك في عظيم ذنب الفرقة، والحالقة المبيرة هي التفرقة، فلا يبقى مع الفرقة حسنة ولا ثواب ولا نور ولا هداية؛ لأنه يحصل من قطيعة الأرحام الاستحقاق للنار، يحصل التقاطع والتدابر وظن السوء والغيبة والنميمة وشحن قلوب الآخرين بالعداوة لمن بينك وبينه خلاف، ويحصل الفرح والشماتة بكل واحد من المتخالفين، ويحصل التنابز بالألقاب، ويحصل بسبب ذلك عند كثير من الناس منع أولادهم من الحضور إلى مدارس العلم؛ لأن فيها أشخاصاً ممن يبغضهم.

نعم، لما كانت العداوة والفرقة من أَنْفَس سلع إبليس لعنه الله فإنك ترى في مجتمعك من يسهر الليل ويضبح في النهار بسبب خصمه، ويترك الحضور إلى المسجد ويخسر الجماعات وفضلها وكل ذلك بسبب التفرقة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

نعم، ومن هذا حاله وإن كان من أهل العلم فإنه لا يشمله اسم الفائزين ألا تسمع لقول رسول الله ﷺ: ((الناس كلهم هلكى إلا العالمون)) وقد علمت بهذا الحديث وغيره ((والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون)) ولم تعمل بما تضمنه هذا الحديث

((والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون)) ولو كنت مخلصاً لوفقت وهديت وسددك الله وزادك بصيرة وتنويراً وآتاك تقواك، ولكنك بموجب العداوة حلقت حسناتك فصارت صحيفتك من حسناتك خالية ومن سيئاتك مليئة، وكل ذلك إرضاءٌ منك للشيطان الرجيم، وإعراض منك عن قبول نصيحة سيد المرسلين، فما عذرك غداً إن وجدت هذا الحديث أمامك خصيماً؟ فالحذر من التمادي في الغي، ولينصف كل عاقل من نفسه كما قال أمير المؤمنين: (حاسب نفسك لنفسك، فغيرها من الأنفس لها حسيب غيرك).

اللهم اجمع شمل المؤمنين، ووحد كلمتهم يا رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[التحذير من الأيمان الفاجرة]

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **((اليمين تنفق السلعة وتمحق البركة، وإن اليمين الفاجرة لتدع الديار من أهلها بلاقع))**، حسبنا الله ونعم الوكيل.

انظر في أصحاب البيع والشراء ولا سيما الذين تكثر في أسواقهم الأيمان الفاجرة والكلمات الكاذبة كيف نزعت من معائشهم البركة تراهم دائماً يشكون من الفقر وقلة الأرباح وكثرة الخسائر، وكذلك أصحاب المهن الكَذَبَة الذين يخلفون وعودهم وينفقون سلعهم بأيمانهم فلا ترى منهم مرزوقاً إلا النزر اليسير.

يحوزون أرباحاً طائلة ولكن لا جدوى تلقاهم أصحاب ديون متراكمة، اذهب إلى سوق البقر بين البياعين المشترين ولو حلفت على القطع إنهم كذابون وغشاشون لم تفجر، وكذلك الجزر يغشك وإن كنت صديقاً أو قريباً، ويحلف بعضهم إنها ذكر وهي أنثى، واذهب إلى أسواق الخضروات وانظر في أفعالهم ترى البضاعة شبيه الجواهر في وجوه السلال وفي ظاهر المشمعات والباطن خلافه.

أقوال كاذبة وأيمان فاجرة، وإذا نصحته قال: الناس كلهم على هذه الطريقة!! الأيمان من أكثر الباعة للمشترين أكثر من أذكار المصلين في مساجدهم.

نعم، فلا بركة ولا نماء، أكثر مأكلهم الحرام، ولا يبالي بدينه إذا حاز شيئاً من حطام الدنيا، يلبس بالمال الحرام، ويتزوج بالحرام، ويحج بالنفقة الحرام، ويطعم أولاده الحرام، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وكما ورد في مجموع الإمام زيد بن علي عليه السلام، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: ((يكاد الناس أن ينقصوا حتى لا يكون شيءٌ أحب إلى امرئٍ مسلمٍ من أخٍ مؤمنٍ أو درهمٍ من حلالٍ، وأنَّى له به)).

نسأل الله أن يرزقنا حلالاً طيباً واسعاً نستعين به على طاعته، إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[أولياء الله]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يقول الله عز وجل: **((من أهان لي ولياً فقد برز لمحاربتي، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء هو أحب مما افترضت عليه، وإنه يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته)):**

لو عمل الناس –أعني: المؤمنين– الذين قرأوا أو سمعوا هذا الحديث ما تظالموا ولا تقاطعوا ولا تدابروا؛ خوفاً من الوقوع في هذا التهديد الشديد «فقد برز لمحاربتي»، حسبنا الله شبيه آكل الربا، قال الله لأكَلَة الربا الذين لم ينتهوا: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة:٢٧٩].

وهل أحد من المخلوقين أو كلهم يطيقون محاربة الله؟ نسأل الله السلامة، ونستغفره من أذية أوليائه وعباده الصالحين.

ثم قال سبحانه وتعالى: ((ما تقرب إليّ عبدي بشيء هو أحب مما افترضت عليه)) فالقربة بالواجب مع خلوصه وقبوله هو الربح العظيم، والمكسب الجسيم.

فالواجب علينا أن نأتي بالواجب على أحسن وجوهه ولو تعبنا، نحسن الصلاة من طهور وقيام وقراءة وحسن ركوع وانتصاب بعد الركوع، وسجود باستقرار حسن وجلوس تام بين السجدتين، وغير

ذلك كي تكون صلاة مقبولة تامة الفضل عظيمة الأجر، وكذلك الصيام نمسك ألسنتنا ونكف شرنا ونأكل الحلال الطيب كي لا يبطل أجرنا وتتحول الطاعات إلى معاصٍ مهلكة.

نسأل الله السلامة من عدم القبول ومن المحبطات.

ثم قال: ((وإنه يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه)) ما بالك بعمل يكون سبباً في حب الله لصاحبه كرم إلهي وعطاء رباني لمن ألقى سمعه وهو شهيد.

((فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها)) يتخرج الكلام هنا على معنيين: إما أن يصرفه الله عن سماع الخنى من القول وما يحصل بسببه الذنوب ويوقفه بتوفيقه ولطفه على ما يجلب به الحسنات.

الوجه الثاني: أو يزيده الله تنويراً في قلبه فيفهم بسمعه من آيات الله وأحاديث رسول الله ما لا يدركه غيره وكذلك ببصره، والثاني أرجح لقول أمير المؤمنين: (حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس، ويسمعون ما لا يسمع الناس).

وكذلك كلامه بلسانه يصوب الله آراءه ويسدد رميته بكلامه، ويكون من الذين عناهم الله بقوله: ﴿أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة:٢٢].

وختم الحديث القدسي بقوله تعالى: ((إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته)) **نعم،** لا تتم المآرب ولا تنال الرغائب إلا بعد تعب

ونصب، وعند الصباح يحمد القوم السّرى، ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾ [محمد].

نسأل الله العلي العظيم البر الرحيم أن يفتح لنا أبواب الخيرات وأن يصك عنا أبواب المصائب والشرور والهلكات إنه سميع مجيب، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[ثلاث من كن فيه..الحديث]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **((ثلاث من كن فيه فقد حرم الله لحمه على النار وله الجنة: من إذا أصابته مصيبة استرجع، وإذا أنعم الله عليه بنعمة حمد الله عند ذكره إياها، وإذا أذنب استغفر الله))**:

صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه صفات المؤمنين أهل التقوى واليقين ولا يتخلق بها إلا ذو حظ عظيم.

أولها: ((من إذا أصابته مصيبة استرجع)) ومعنى: استرجع قال: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ لأن الله سبحانه أخبرنا في القرآن الكريم أنه لا بد من الابتلاء والاختبار لجميع المكلفين برهم وفاجرهم وذلك فيما آتاهم من النعم الشاملة مثل الولد والمال من الذهب والفضة والثمار، وكذلك الصحة والأمان وغير ذلك مما ينشرح الصدر بوجوده ويغتم بفقده غير أن المؤمن يطلب من الله بالاسترجاع الجزاء الذي وهبه على المصيبة وأوله البشارة من الله في كتابه وعلى

لسان رسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم الرحمة منه له الحمد والمنة وهي الرحمات المتتابعات؛ لأن الصلوات من الله هي الرحمات، ثم الخبر من الله عز وجل للمسترجعين الصابرين الراضين بقضائه أنهم أصحاب الفلاح والهداية؛ لأنه لم يتلق المصيبة بالصبر والرضا طالباً من الله الرحمة والجزاء إلا عباده المؤمنون.

والثانية: ((وإذا أنعم الله عليه بنعمة حمد الله عند ذكره إياها)) الشكر والحمد متقاربان ولا يجعلهما ذخيرة في الآخرة إلا أصحاب العقول الزكية والأعمال المرضية أهل الشيم والقيم يقول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (إن الحمد أفضل ما خزن وأرجح ما وزن)، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم]، فالشاكر للنعم هو من عرف ربه فعظمه، وهل زالت النعم إلا بترك الشكر من أهلها.

نعم، يذكر الله الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بخير ذكر فإذا قص قصة بعضهم قال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء].

فعلىٰ المؤمن أن ينظر في نعم الله عليه فإذا أراد بقاءها ونموها والزيادة عليها فليجعل الشكر ديدنه في ليله ونهاره، وفي حضره وأسفاره؛ رجاء في وعد الله وطمعاً فيما عنده، إن الله لا يخلف الميعاد، ولأن النعم لا تعد ولا تحصىٰ، وحاجة الإنسان في حياته إلىٰ بقائها.

فعلىٰ كل مؤمن أن يقيدها بالشكر وإذا أراد مقياساً دقيقاً للنعم كي يعرف ثمنها، فعليه أن يتصور بنظره الدقيق كيف لو فقدها

وسوف يزيده ذلك بصيرة في شكر الله عليها، كيف لو أزهقت روح ولده المحبوب بأي مصيبة أو زوجته، أو فقد سمعه أو بصره أو إحدى رجليه أو يديه، أو حرقت سيارته، أو هدم داره أو غير ذلك من نعم الله عليه فإنه بذلك المقياس يستشعر نعمة الله عليه، فقول رسول الله ﷺ في الحديث شامل لخصال الحمد.

ثم قال ﷺ في الثالثة: ((وإذا أذنب استغفر الله)) نعمة من الله سبحانه على عباده بأن جعل الاستغفار غسيلاً من الذنوب المهلكات وطهوراً لصحائفنا من الخطايا والسيئات، فكم يا ذنوب يقع فيها الإنسان بسمعه وبصره ولسانه وبضميره، وكذلك بما ملكه الله من نعمه.

والذي يوضح شناعة الذنوب وقبحها أن الإنسان لا يعصي الله عز وجل إلا بنعمه ومن أجل ذلك تعظم المعاصي بقدر ما تساوي النعم.

فالمكر والغدر والنوايا السيئة تكون بالعقل، ومن يستطيع أن يحدد قيمة العقل، فعلينا جميعاً أن نتوب إلى الله عما وقعنا فيه من الزلات بعقولنا وأن نعرف قدر نعمة الله بالتوبة علينا، فله الحمد والمنة على كل حال.

نعم، الذنوب قبيحة لعدة أسباب:

١- المجاهرة لربنا بها وتخفينا من خلقه وهو الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

٢- لإرضائنا بها للشيطان لعنه الله عدو الله وعدونا.

٣- لتعريضنا بفعلها لأنفسنا إلى العذاب الدائم الأبدي في جهنم نعوذ بالله منها.

٤- لتعريضنا للنعم التي بأيدينا إلى الزوال وما يحل بعد النعم من المصائب والوبال.

٥- استعمال النعم التي أنعم بها علينا في معاصيه.

فنستغفر الله من كل ذنب، ونتوب إليه من كل خطيئة، ونسأله التوفيق والسداد وحسن الخاتمة، آمين رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[نعم الدنيا]

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **((يا علي، ما من دار فيها فرحة إلا تبعتها ترحة، وما من هم إلا وله فرج إلا هم أهل النار، وما من نعيم إلا وله زوال إلا نعيم أهل الجنة، فإذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها سريعاً، وعليك بصنائع الخير فإنها تدفع مصارع الشر)):**

ليمعن الإنسان بنظره في هذا الحديث الشريف على قائله وآله أزكى الصلاة والتسليم: ((ما من دار فيها فرحة إلا تبعتها ترحة)) إشارة إلى أهل العافية والنعم وإلى شمول مصائب الدنيا، أمور مضحكات وأخر مبكيات، ويأتيك بالأخبار من لم تزودي.

رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أزكى البشر أخبر بسروره عندما زار أهل الكساء أنه سُرَّ في ذلك اليوم سروراً لم يسر قبله مثله، وأنه أتاه جبريل وأخبره أن أولاده قتلى وأن مصارعهم شتى.

وكذلك أمير المؤمنين عندما نظر إلى عدة بساتين وكان مصاحباً لرسول الله قائلاً: (ما أحسنها) فأخبره النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن له في الجنة خيراً منها، فتندم أمير المؤمنين على الشهادة فأخبره رسول الله أنها أمامه وأن لحيته الشريفة ستخضب من دم رأسه، وعلى هذا المنوال لا تتم نعمة إلا بفراق أخرى.

ثم قال صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((وما من هَمٍّ إلا وله فرج إلا هم أهل النار)) تسلية لأهل المصائب والمحن أن الفرج يأتي بعد الشدة مهما طال الوقت أو قصر.

نعم، الهموم تطوي الأعمار، وتشغل الأفكار، ولو لم يكن معها أمراض ولا خوف، في هذه الدنيا قليلة البقاء -وإنْ عَلِمَ مَنْ هي عليه متواردةٌ أنَّه يؤجر عليها- فما بالك بهموم أهل النار والعياذ بالله، مع ما هم فيه من حريق النار التي تطلع على الأفئدة، وعلمهم أنهم لا يخرجون منها أبداً، كل واحد من طعامها وشرابها ولباسها وقيودها وحياتها وعقاربها والصياح والعويل فيها- عذاب وافٍ، دع ما سوى ذلك من الأفزاع وضرب المقامع، والسحب على الوجوه في النار، ومجاورة الأشرار، وغضب الجبار، نعوذ برحمة الله الواسعة من غضبه الشديد.

ثم قال ﷺ: ((وما من نعيم إلا وله زوال إلا نعيم أهل الجنة)) صدق ﷺ لا يعقب العافية إلا البلاء ولا الشباب إلا الشيخوخة والفناء، ولا الحياة الطيبة بين الأهل والأولاد في المساكن إلا الرحيل إلى دار الأموات وأبلغ العضات إلى يوم النشور.

كم من صحيح تمتع بالعافية أصبح سقيماً، وغنياً صار فقيراً، وآمناً بات خائفاً، وجميلاً كان في منظره أصبح ذميماً، إلا نعيم أهل الجنة، فإنه لا يزول، مضمون بضمان الله جلت قدرته، حياة أبدية سرمدية يصحبها الشباب في منتهاه والغنى بجميع ما يتمناه، راحة قلبية لا يوجد لها في هذه الدنيا مثيل من مساكن بنيت لتبقى لا لتبلى، صنعها الله بقدرته وأثبتها، وعلى حافة الأنهار وفوق جبال الحمد أرسى قواعدها، نورها يضيء لأهل الجنة كإضاءة الشمس لأهل الدنيا، يسكنها خيرات حسان، هن في جمالهن وأخلاقهن وصورهن أشكال وألوان، نظرة الواحدة لمعشوقها تشفي الأسقام وتروي الضمآن، البِرُّ بحذافيره جُمِعَ فيهن لأزواجهن، لو كان شيئاً يطرب ويسكر من غير شراب لكان ذلك بسماتهن ونظراتهن، نعومة في الخدود لا يوجد لها في هذه الدنيا نظير.

من الذي كساهن وخلق كسوتهن؟ إنه اللطيف الخبير، وكل ذلك بين البساتين الواسعة والثمار اليانعة مع ما هنالك من الأنهار من جميع الأشربة.

كل واحد من سكانها مَلِك وله خدم غني عن كل أحد، في

جنات النعيم، قد شغله عن الهموم ما هو فيه من الملك والتعظيم من إخوانه المؤمنين، ومن خدمه وحاشيته والحور العين، نسأل الله بجوده ومنه وفضله وبحق من تعبد له في هذا الشهر الكريم وفي أمثاله أن يجعلنا من ضيفانه في دار كرامته، آمين رب العالمين.

ثم قال صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((فإذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها سريعاً)) لك الحمد يا الله ولك المنة على رحمتك بخلقك بأن قبلت توبتهم بالاعتذار إليك والاستغفار، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات الأحياء والأموات.

وختم الحديث صلوات الله عليه وآله بقوله: ((وعليك بصنائع الخير فإنها تدفع مصارع الشر)) الدنيا هموم وغموم لأسباب وأنواع من الشرور فمن أراد التخفيف من همومها فعليه بالإحسان إلى أرحامه وإلى إخوانه المؤمنين فإن الله عظمت منته يدفع بالإحسان مصارع الشر ويجلب به المزيد من الخير، وفضله في صحيفة الحسنات لا يقدر قدره، فهذه الثلاثة يعطيها الله لأصحاب الإحسان أعني: دفع الشرور وجلب الخير وثوابها العظيم فلا يوفق للعطاء إلا صاحب حظ عظيم.

اللهم منَّ علينا بما يصلحنا، وهب لنا من رحمتك ما يخلص رقابنا، وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين صالحين ووالدينا وأولادنا وأزواجنا وجميع المؤمنين والمؤمنات يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[البلاء على المؤمن]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله: **((إن الرجل لتكون له درجة رفيعة من الجنة لا ينالها إلا بشيء من البلايا تصيبه حتى ينزل به الموت، وما بلغ تلك الدرجة فيشتد عليه حتى يبلغها)):**

نعم، تفضل الله على عباده المؤمنين بأن يثيبهم على البلايا وأن يتعاهدهم بها، رحمة منه لأوليائه، وفي البلايا مصالح عظيمة يعلمها الله، منها: أن يعلم المؤمن بحقارة الدنيا، وأنها مليئة بالهموم والغموم بسبب المصائب والأمراض والفقر والخوف والأذى من الآخرين وغير ذلك كي يزهد فيها ويحقرها لأجل أن لا يستولي حبها على قلبه، فحبها هو السم القاتل يشهد لذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((حب الدنيا رأس كل خطيئة)).

ومنها: أن الإنسان إذا أحس بألم المرض ووجعه تذكر عذاب جهنم ودوامه وارتدع عن كثير من المعاصي وتاب إلى ربه وبادر بالأعمال الصالحة.

ومنها: أن الإنسان ينقطع إلى ربه في طلب المخرج من تلك البلية وأنه لا مخلص له هاهنا إلا الله سبحانه وتعالى.

ومنها: أن يعلم بتقصيره في شكر الله على العافية وغفلته عن ربه، وكم يا مصالح تترتب على البلايا، ومن تلك المصالح ما يعطي الله من الأجر للصابر على البلية فأجر الصبر لا يساويه شيء من الأجور.

ومن ذلك: أن الإنسان قبل الخوف أو البلاء أو الجوع أو الأذى من الغير كان إذا رأى مبتلاً بشيء من ذلك لا يحس برحمة من قلبه للآخرين فلما ذاق المرّ من تلك البلية وتعافى منها فلا يرى أحداً ابتلي بها إلا رحمه، وتذكر ما كان فيه وشكر الله على العافية، فسبحان من أفعاله منوطة بالحكم البالغة!

ونسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين.

[ما في جلوس المصلي بعد صلاة الفجر في مصلاه]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **((والذي نفس محمد بيده لدعاء الرجل بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أنجح في الحاجة من الضارب بماله في الأرض)):**

نعم، النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر أن ذلك الوقت تقسم فيه الأرزاق في حديث آخر، غير أن الدعاء له شأن في حياة المؤمن وقد ورد أن الدعاء سلاح المؤمن وأنه مخ العبادة، وقد خُصّ ذلك الوقت - وهو ما بين صلاة الفجر إلى أن تطلع الشمس- بمكاسب دينية ودنيوية منها: ما تضمنه هذا الخبر، وهو سرعة وصول الرزق لمن جلس يذكر الله ويدعو إلى أن تطلع الشمس.

ومنها: أن تلك العبادة في ذلك الوقت تساوي حجة وعمرة تامتين.

وعلى المؤمن أن يجعل الدعاء بضاعته الثمينة، فبالدعاء يستجلب الخير ويدفع الشر، وبالدعاء يرضي الإنسان ربه ويدخل السرور على الملائكة بما يكتبان له من الحسنات، وبالدعاء والأذكار يشغل الإنسان لسانه عن المعاصي ويطرد به الشيطان الرجيم، وبالدعاء للمؤمنين يقول له ملك من ملائكة الله: «ولك مثل ذلك» وعلى كل حال الأمر كما قال أمير المؤمنين: (اللسان يتقاضى ما عوده الإنسان).

وقد قال تعالى مادحاً لأوليائه: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب:٣٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

نعم، الإنسان لا يحتاج إلى مال في تحصيل مؤنة الدعاء حتى يدعوه ذلك إلى التقليل من الدعاء أَوَليس الذي خلق السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما هو القائل: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فعليك أيها المؤمن أن تستحضر هذا الوعد من الله عند دعائك ومناجاتك لمولاك الذي خلقك ورزقك فهو أصدق الصادقين وخير المنزلين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[الاستخارة]

بسم الله الرحمن الرحيم

روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **((من سعادة المرء كثرة استخارته، ومن شقاوته تركه الاستخارة)):**

الله ورسوله أعلم بمصالح العباد في هذا الحديث دليل أن الله سبحانه يدفع بالاستخارة شروراً عظيمة ويجلب بها خيراً كثيراً غير أن الإنسان بحاجة ماسة إلى أن يعوِّد نفسه ولسانه، وأن يستشعر فائدة الاستخارة حتى تكون خليقة له محمودة ينطق بها ويعظ بها غيره ويلقنها أهله وأولاده.

نعم، قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من سعادة المرء كثرة استخارته)) يفيد هذا الخبر أن لا سعادة مع ترك الاستخارة ولو ملك الأموال والمناصب؛ بدليل آخر الحديث وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ومن شقاوته تركه الاستخارة)) أما مع الاستخارة وتكريرها فالسعادة حاصلة لأنه خبر من الصادق صلى الله عليه وآله وسلم ولا ينبئك مثل خبير غير أن الاستخارة وكذلك الدعاء من الإنسان أو طلبه من الغير ومثل الصدقات لجلب الخير ودفع الشر لا بد أن يصحب جميع ذلك التصديقُ من القلب والظنُّ الحسن بالله وأنه طلب حاجته من الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء فهو القادر على قضائها فإن ذلك يكون أنجح في قضاء الحاجات، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

اللهم حبب إلينا الدعاء، وألهمنا الاستخارة في جميع أمورنا يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[التواصل بين المؤمنين]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله: **((لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟)) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ((أفشوا السلام بينكم، وتواصلوا وتباذلوا)):**

المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم نفى الإيمان مع الفرقة والعداوة فالإيمان لا يتم لمن يدعيه إلا مع الحب للمؤمنين والعداوة للكافرين.

نعم، المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حليم ورحيم بالمؤمنين ولا يبعد أنه كان يلتمس من بعض أصحابه العداوة للبعض لأسباب مختلفة وأعظم تلك الأسباب الحسد، وقد شكا العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عداوة قريش لبني هاشم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أو يفعلون ذلك؟)) قال: نعم، فقال النبي: ((والذي نفسي بيده لن يؤمنوا حتى يحبوكم لي)) وكذلك ما وقع من العداوة لعمار رضي الله عنه من بعض الصحابة حتى قال: ((ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)).

ثم دلهم على العلاج إذا استعملوه أنه يقضي على هذا الداء بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أفشوا السلام بينكم وتواصلوا وتباذلوا)) الإفشاء: هو الإظهار للشيء أراد صلى الله عليه وآله وسلم أن يلقى المؤمن أخاه أو إخوانه بوجه طلق ويشعره أنه سعيد بلقياه وأن مخوته عنده من أغلى الأشياء وأنه حريص على ذلك غاية الحرص، ويردف ذلك بمواصلته وأن يبذل له كل ما في وسعه، من أجل تتم أخوة الإيمان

والمحبة، يفعل ذلك طمعاً في ثواب الله وخوفاً من الوعيد الذي تضمنه الحديث، وهو نفي الإيمان مع العداوة.

هذا، واعلم أن البادئ بالسلام والواصل لأخيه والباذل له معروفه دليل واضح على رجاحة عقل مَنْ هذا حاله، وأن الله قد منحه توفيقاً وهداية، وأنه من مفاتيح الخير ومغاليق الشر، وأن عمله يدل على حسن سجيته، وصلاح سريرته؛ لأنك لا ترى من هذا الصنف إلا القليل؛ لأنهم يغالبون أهواءهم من أجل الألفة وصلاح ذات البين وجمع الكلمة، يسعدون بصلاح مجتمعهم وبجمع كلمتهم، ويحزنون ويغتمون إذا رأوا أحداً من أصحابهم متخالفين أو من سائر المؤمنين.

وقد وَسَمَ أميرُ المؤمنين هذا الصنف بقوله: (رياحين كل قبيلة، ومصابيح كل ظلمة) ويكفي برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لهم شاهداً وذلك عندما مات رجل وأثنى عليه الناس بخير قال المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((وجبت)) أي: وجبت الشهادة منكم له بالخيرية، ووجبت له الجنة.

فعليك يا أخي المسلم أن تحسن أخلاقك وتترك الكباحة والجفوة فذلك أسعد لك في دنياك وآخرتك.

نعم، كل واحد من الأحياء يحب أن يكون عند موته مرحوماً عند من عرفهم وعرفوه وهذا دليل عقلي، ويشهد لذلك من كتاب الله قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال:١].

وليعلم كل مؤمن أن إفشاء السلام والتواصل والتباذل تعليم وتدريس للأجيال من ذراريهم وأنهم يؤجرون على ذلك، يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها)) وعكسه الذي يغرس التقاطع والتدابر والعداوة.

اللهم حسن أخلاقنا في طاعتك، واجمع شمل المؤمنين ووحد صفهم وألف بين قلوبهم يا أرحم الراحمين، وصل الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[**بعض صفات المؤمنين**]

بسم الله الرحمن الرحيم

عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **((إن أقربكم مني غداً وأوجبكم علي شفاعة: أصدقكم لساناً، وأداكم لأمانته، وأحسنكم خلقاً، وأقربكم من الناس)):**

اللسان مكاسبه هي المكاسب، ومثالبه هي المثالب ألا تسمع إلى قول أمير المؤمنين: (المرء مخبوء تحت لسانه)، وقوله عليه السلام: (اللسان يتقاضى ما عوده الإنسان) فالحذر من الكذب لأنه يهدم شخصيتك ويهلك حرثك ونسلك، إذا سمع رجل منك كلمة كذب أو توهم الكذب وأنت في عينه كبير فإنك تصغر بقدرها فإذا صدرت من لسانك أخرى فكلامك عنده وعدمه سواء حتى ينتشر ذلك شيئاً فشيئاً.

أما في الدين فالله يمقت على الكذب، فالسعيد من تحلى بالصدق

والوفاء وجانب الكذب، فالكذب هو خليقة السفلة الغافلين.

نعم، ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((وأداكم لأمانته)) الأمانة ينبغي أن تؤدى على الفور ولو كان صاحبها عدواً لدوداً؛ لأن الخيانة في الأمانات من شيم المنافقين، فاحذر أيها المؤمن غاية الحذر وتخلق بأخلاق أهل التقوى والوفاء فالأعمال محصية وما كان ربك نسياً.

ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((وأحسنكم خلقاً)) صاحب الأخلاق الطيبة متأس برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يحبه الله ورسوله وكل من عرفه يعيش في المجتمع سعيداً، وصاحب الأخلاق الطيبة قد عرف قدر نفسه فلا يترفع على أحد من إخوانه المؤمنين ولا على الضعفاء والمساكين وإذا زلت منه فلتة وقت الغضب ندم عليها غاية الندم وتاب إلى الله من زلته وتذكر قدرة الله عليه ومراقبته.

ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((وأقربكم من الناس)) معنى ذلك: أنه الذي يألف الناس ويألفونه، ويحب الناس ويحبونه، فمن كان بهذه الصفات فإنه غداً من أقرب الناس إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ومن أهل شفاعته؛ لأنه أخذ بأخلاق من أخلاق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بل من أعظمها فالصدق خليقة لجميع أنبياء الله وأوليائه وكذلك أداء الأمانة، أما حسن الأخلاق فنبينا صاحب الخلق العظيم صلوات الله عليه وعلى أنبياء الله أجمعين.

واعلم أيها الأخ المؤمن أن الله سبحانه وتعالى لا يأمرنا بشيء ولا ينهانا عن شيء إلا وفي كل ذلك مصالح دنيوية ودينية؛ لأن الله

حكيم جلت عظمته؛ انظر في أصحاب الصدق كيف عاشوا في المجتمعات بالسمعة الطيبة والثناء الحسن، لهم قيمتهم ووزنهم يُصدَقون إذا قالوا: ويحمدون إذا فعلوا، يركن عليهم الناس في أخبارهم، ويشهد لهم القريب والبعيد في الوفاء بوعودهم، يحبهم من سمع وصفهم وإن لم يعرفهم، وإذا صحب الصدق أخلاق حسنة فقدح صاحبهما القدح القامر، وحظه الحظ الوافر، فالخلق الحسن كالأرض الطيبة التي ينمو زرعها ويكثر ثمرها.

انظر في قول الله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم].

صاحب الخلق الفاضلة والخلق الحسن إذا وقع بينه وبين آخر خصام أحبه من سمع قوله ولو لم يعرفه، نعمة من الله عاجلة وثوابه في الآخرة القرب من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ووجوب الشفاعة.

نعم، ثم قال: ((وأقربكم من الناس)) وسواء في دنياهم أو في دينهم أو فيهما معاً، واعلم أن الأخلاق وجميع مكارم الأخلاق لا تتم إلا بالصبر والاحتساب، فعليك بهما تظفر غداً، إذا خسر هنالك المبطلون.

اللهم حسِّن أخلاقنا، وطهر ألسنتنا من الكذب، وارزقنا منفعة المؤمنين والضعفاء والمساكين يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[كف أذى اللسان واليد]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **((المسلم من سلم الناس من يده ولسانه، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)):**

وإلا فأي فائدة للإسلام إذا كان مدعيه شيطاناً مريداً أو جباراً عنيداً، إن كان ظالماً فلعنة الله على الظالمين، وإن كان منافقاً فالمنافق في الدرك الأسفل من النار، فعلى المسلم حقاً أن يتجنب حقوق الناس وأعراضهم، وأن يسعى في منافعهم، يرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم، يبالغ بجهده في شراء حبهم وودهم، يسعدون بحياته ويترحمون عليه بعد وفاته، ولن يكون المسلم كذلك إلا إذا كان لنفسه متهماً ولذنوبه معظماً، يذكر ستر الله عليه فيخجل، يجد من نفسه أنه شرير لولا رحمة الله، وأنه هالك لولا عفو الله، المدح عنده والثناء سواء، النصيحة من الأخ الناصح أغلى عنده من الدر، يترك ما لا بأس به خوفاً مما به البأس، يمعن بنظره في عواقب الأمور، ومن خلال هذه النظرة يرى قبره محفوراً وحياته منتهية، يتصور المحشر وقد وقف فيه للحساب على كل صغيرة وكبيرة، فإن كان سعيداً حوسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً، وإن كان شقياً فإنه يسلسل في الأغلال ويرد جهنم بين مقطعات النيران بين العقارب والحيات، شرابها يقطع الأمعاء ويسلخ لحم الوجوه، يضرب بمقامع من حديد، وشربه صديد، وطعامه زقوم، فمن كان كذلك فهو المسلم حقاً والمهاجر، نسأل الله التوفيق والسداد وحسن الخاتمة، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[أهل بيتي كالنجوم]

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: **((أهل بيتي كالنجوم كلما أفل نجم طلع آخر)):**

نعم، من أجل ذلك قرنوا بكتاب الله في حديث الثقلين وشبههم بسفينة نوح التي من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى، وفي تشبيههم بالنجوم عبر وأمثال، ففي النجوم من الفوائد ما حكاه الله في القرآن:

١- أنها زينة للسماء الدنيا.

٢- أنها رجوم للشياطين.

٣- أنها علامات للمسافرين في البر والبحر.

٤- أنها منورة للسماء.

كذلك أهل بيت المصطفى سلام الله عليهم هم زينة المجتمعات فلا ترى قوماً بينهم علماء من آل محمد إلا تميزوا من غيرهم بالمعرفة والعلم ورجاحة العقول والتعاون فيما بينهم وقلة الفساد وقلة الخصومات وغير ذلك.

كذلك لا يردّ على أهل الشبه من الغالين في الدين والمنتحلين سوى علماء آل محمد ومن سلك طريقتهم والفضل لهم فكلهم سلام الله عليهم يغترفون من كتاب الله وسنة رسول الله وحجج العقل ما يدفعون به شبه المضلين في كل زمان وهم كذلك بخبر جدهم صلوات الله عليه وآله إلى يوم الدين.

وكونهم كالأدلة في الفلوات وفي لجج البحار كذلك أئمة الهدى في كل زمان ومكان كتبهم وما تركوه من العلوم بذلك شاهدة فأولهم لآخرهم شاهد، وأقوال آخرهم لسابقهم ساند، ذرية بعضها من بعض، فهل أسس بنيانه على تقوى إلا من سلك طريقهم ومضى على نهجهم، فالسعيد -وخالق الكون- من تواضع لربه وعرف فضلهم، وحمد الله على نعمته بهم واقتفى أثرهم.

اللهم ارزقنا حبهم، واقفُ بنا أثرهم، واحشرنا يوم القيامة في زمرتهم، آمين رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[ابن آدم في الدنيا ضيف وما في يده عارية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: **((ابن آدم في الدنيا ضيف وما في يده عارية، الضيف مرتحل والعارية مردودة)):**

انظر أيها الناظر بعين البصيرة إلى هذا التعبير النبوي، **نعم،** الدنيا في سرعة زوالها وقلة بقائها وما فيها من الحطام مما في أيدي أهلها ليست إلا كضيافة لأحد الأشخاص فالضيف سرعان ما يودع من ضيفه ويتجه إلى مقره الحقيقي، كذلك ما في يده ليست إلا عارية سرعان ما يأخذها صاحبها، قال أمير المؤمنين: (ما أكثر العبر وأقل الاعتبار) وهل أخذ شخص ممن غادر شيئاً من حطامها أو أحكم قبضته على شيء من متاعها أم فارقها عارياً؟ لقد رأينا مصارع من

دفناهم بين التراب كيف فارقوا دورهم وأموالهم ونساءهم وأولادهم عفرت خدودهم بين التراب وسرعان ما أفقدهم النسيان ذكر أحبابهم يفرق من خَلْفَهم ما جمعوا كما قال الوصي: (أصلحوا دنياهم فأخربوا بذلك الإصلاح آخرتهم).

فيا جماعة المساكين ويا معشر الغافلين أفيقوا من غفلتكم واصحوا من سكرتكم ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون، فالندم اليوم خير نافع، وغداً خير شافع، أما في الآخرة فعقوبة من العقاب، ونوع من المصائب والعذاب، ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة]، فالسعيد في الدنيا من نظر في أحوالها وأمعن النظر جيداً في سرعة زوالها وقلة بقائها فعمل فيها لما بعدها فصارت له نعم الدار ولغيره من الغافلين شر دار.

نعم، لو عمل المكلف بمضمون هذا الحديث النبوي لاستراح من متاعب الدنيا وهمومها وهانت عليه جميع مصائبها وصار بها سخياً وعند جميع أبناء جنسه وفياً.

اللهم اجعلنا من المعتبرين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، آمين رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

قسم الحكم العَلَوِيَّة

[ما قال الناس لشيء طوبى له...]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

من حكم أمير المؤمنين سلام الله عليه قوله عليه السلام: **(ما قال الناس لشيء طوبى له إلا وقد أعد له الدهر يوم سوء):**

كلمة جفت الأقلام أن يأتي لها مثقف بنضير كيف والناطق بها باب مدينة العلم وعيبة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، انظر لما اشتملت عليه فلا شيء تطرب له النفوس وتشتهيه في هذه الحياة إلا وقد شملته هذه الكلمة.

ترى المناظر البهية من البناء والزرائع والأجسام وما هي إلا أيام وقد تحولت إلى عبر واعظة ومنغصة للذات الدنيا دامغة، اليوم ترى شاباً وسيماً في مقتبس عمره يفرح ويمرح وما هي إلا أيام وقد بدل بالقوة ضعفاً وبالسرور هماً قد تغيرت ملامح صورته وشعره وبشره وقد عمه نقص يراه من بَعُد ومن قَرُب، يشكو من الدهر وهمومه وهو الذي تغير وليس الدهر.

كم تفكه بالكلام في أيام شبابه وفي آخر المطاف يكره الخطاب من أقاربه وأحبابه، يمسي مهموماً ويصبح مغموماً، يذكر ماضيه فيزداد الطين بلة، كيف كانت حياته مع أصدقائه وأحبابه وما آلت إليه، يعاين الجفوة في أفعالهم حين يعرضون عن مجالسته وحين تمج أسماعهم كلامه فلا رحمة له في قلب قريب ولا بعيد فلسان الناظر في حاله يقول: لا خير هذا يرجى ولا شره يتقى.

وكم من قلعة حصينة وقصر مشيد قد عفاها الزمن كانت مفتخراً فصارت عبراً، النظر فيها يسمج لذة العاقل ويقصر أمله، ومن الآثار المدهشة للعقول ما كانوا يزرعونه من الأموال ويتقاتلون عليه في بعض الأحوال وعلى هذا جرت سنة الله في خلقه وحكمته في أرضه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ [ق].

[الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا]

ومن حكمه الجامعة عليه السلام قوله: **(الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا):**

تأمل أيها الناظر في هذه الدرر الذهبية من البلاغة والبيان- لحال الإنسان وما هو فيه من الغفلة والمغالطة لنفسه والنسيان ومثل هذا يقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ((ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها))، الناس يتكالبون على مصالح الدنيا الليل والنهار من أجلها يرضون ولأجلها يغضبون، أما ما خلقنا الله من أجله وهو الدين فلا مبالاة إلا عند القليل، فقد بين أحوال الناس في دينهم وما هم عليه وكيف يكون حال الغافل عند هجوم هادم اللذات عليه وأنه عند ذلك يستيقظ ويندم حين لا ينفع الندم ويقول: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون]، يتذكر الفوت والتفريط فتزداد الحسرات كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: (تجتمع عليه حسرات الفوت وسكرات الموت)، وكما قال عليه السلام: (يتذكر أموالاً

أغمض في مظانها فيتمنى أن الذي كان يحسده عليها حازها دونه).

نعم، عند المرض والمصائب ترى الكثير من الغافلين يتندمون وإذا رفع الله عنهم البلاء والمصائب عادوا في غيهم ومضوا في غفلتهم قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴿٥١﴾﴾ [فصلت]، صدق الله العظيم.

وما سبب ذلك إلا الغفلة والإعراض عن العلم والعلماء، وعن مجالس الذكر ومدارس العلم فالقلوب تتحول مع الغفلة إلى طباع البهائم أو إلى أخلاق الوحوش أو إلى عقول ربات الحجال وقد وصف الناس بهذا أميرُ المؤمنين عليه السلام، فالله المستعان، لو لم يكن من المنغصات والمنبهات إلا الموت الذي يذر الديار بلاقع لكفى، وكذلك ما يتقدمه من الضعف ونقص القوى والشيخوخة والضيقة والفتور، ترى الناس بعينيك في أحوال مختلفة من البلاء وغداً تكون لغيرك معتبراً، فالله المستعان وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

[**مصيبة يكتب الله لك أجرها**...]

ومن حكمه عليه السلام قوله: **(مصيبة يكتب الله لك أجرها خير من نعمة أوجب عليك شكرها):**

سلام الله عليك يا سيد الوصيين لقد بلغت الموعظة بهذه الكلمة منتهاها وحصلت كل نفس حزينة على مناها، صدق سلام الله عليه ورضوانه، فأجر المصيبة لا يقدر قدره، كيف وقد قال الله تعالى:

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ۝١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ۝١٥٦ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ۝١٥٧﴾ [البقرة]، فرضوان الله ورحماته على الراضي بالمصيبة تغدو وتروح لأن الصلوات من الله رحمات متتابعات مع حكم الله لصاحبها بالهداية، فيحق لكل مؤمن عند المصيبة أن يتلقاها بالصبر ويلح على الله بالدعاء أن يأجره على تلك المصيبة ويحدث نفسه دائماً أنه مقصر في شكر الله على تلك النعمة خاصة وغيرها عامة.

فقل من يكون لله شاكراً وعلى بلائه صابراً، وعلى كل مؤمن أن يقرر في نفسه ويرسخ في عقله أن كل نعمة من الله عليه في هذه الدنيا زائلة إلا نعمة الإيمان والصبر والهداية، وينظر في أحوال غيره كيف تركوا كل شيء كان في أيديهم من تلك النعم التي غفلوا في الدنيا عن شكرها حتى هجم عليهم ملك الموت في غفلتهم فلا مال نفع ولا ولد دفع ولا صديق ولا طبيب أراحه من شدة الوجع، فنسأل الله أن يرزقنا صبراً جميلاً وعملاً خالصاً مقبولاً، إنه على ما يشاء قدير.

[إذا كان الطمع هلاكاً فاليأس إدراك]

ومن حكمه سلام الله عليه الجامعة قوله: **(إذا كان الطمع هلاكاً فاليأس إدراك)**:

انظر إلى هذه القاعدة الوثيقة والحصن المشيد فالإقدام على ما لا يؤمن شره كالإقدام على الشر، والإمساك عما هذا حاله إدراك، فكم

من عاثر على خده بسبب التعامي وترك المشورة لأصحاب العقول، كم من ضال عن طريق الهدى بسبب اتباع الهوى، وليس من العزيمة الإلقاء بالنفس في التهلكة وسواء كانت المغامرة في أمور دنيوية أم أمور دينية، فالمغامرة في أمور الدنيا واضحة، والمغامرة في أمور الدين جهل، والإقدام على ما لا يؤمن كونه خطأً كالإقدام على الخطأ، ولذلك قال سلام الله عليه لولده الحسن عليه السلام: (وامسك عن طريق إذا خفت ضلاله فإن الوقوف عند حيرة الضلال خير لك من ركوب الأهوال).

فقد دلنا سلام الله عليه بهذه المقتطفات الذهبية والنجوم الكلامية على التأني في أمورنا والاستخارة في كل ما يعنينا، ففي التأني السلامة وفي الإقدام على غير بصيرة والعجلة الندامة، فمن أخذ بمواعظه ونصائحه فقد أخذها من عين صافية، ولذا قال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ((أنا المنذر وأنت الهادي، يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي)) فعلينا أن نتبع كلامه ونقتفي أثره ونعمل بنصائحه فالنصيحة كما قال لقمان الحكيم عند العاقل أحلى من العسل الشهد، وهي على السفيه أشد من صعود الدرج على الشيخ الكبير. وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

[عند الصباح يحمد القوم السرى]

ومن حكمه عليه السلام قوله: **(عند الصباح يحمد القوم السرى):**

عبر بهذه الكلمة سلام الله عليه عن عواقب الأمور لأهل طاعة الله وشبه حالهم بحال من تحمل مشقة السفر في ليله والناس نيام فحمد عاقبة مسراه ونسي تعبه وما عاناه كذلك من تحمل مشقة التكليف في هذه الحياة المليئة بالهم والنكد والمشاكل من الخوف والمرض والفقر وهم العول وغير ذلك فإنه عند الموت والبشارة بالنجاة يسعد وكيف لا يسعد وقد حصل على أمان أبدي وعلى نجاة من عذاب الله السرمدي، وفاز برضوان الله وبجنة عرضها السموات والأرض، وفاز بمجاورة أنبياء الله فأمانه أبدي قال تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۝٣٤ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ [ق]، فكيف لا يحمد هذه العاقبة.

ولنعلم أنه لا بد من الصبر على طاعة الله، ولا بد من البصيرة ومن مجاورة أهل التقوى والدين والخوف واليقين وإلا عصفت بنا رياح الفتن والأطماع وحب الدنيا القاتل، فحب الدنيا سموم قاتلة وحبائل عالقة، فالسعيد والله من جعل الفكرة مرآة أمام عينيه صافية ينظر فيها إلى مثواه الأخير وما عسى أن يأخذ معه مما جمع وينظر فيمن عفاهم الزمن في تلك المقابر كم قد فرحوا ومرحوا غفلوا عما يصلح أحوالهم في الآخرة والتهوا بمتاع الدنيا الفانية فقدموا على ما قدَّموا ولم ينفعهم ما أخروا.

نسأل الله السلامة من كل شر والغنيمة من كل خير، آمين رب العالمين.

[التفكر حياة قلب البصير...]

ومن حكمه عليه السلام: **(التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور):**

التفكر ينقسم إلى أقسام وتختلف نتائجه فالتفكر في سماء الله وأرضه وما بينهما يورث المعرفة بالله فكلما كرر الإنسان النظر فيما ذكرت ازداد بصيرة ويقيناً في معرفة الله، والتفكر في أحوال الناس وفي عواقب أمورهم وفي غاياتهم في هذه الدنيا وما قد آل إليه من غبر، يورث الزهد في الدنيا ولفت النظر إلى الآخرة وهذه خليقة يرضاها الله ورسوله ويثيب عليها ثواباً جزيلاً.

ومن التفكرِ التفكرُ في نعم الله علينا من الستر للفضائح والذنوب التي اقترفناها والجوارح التي في عصيانه استعملناها، فالنظر بعين البصيرة في هذه الأمور يورث الحياء والخجل من ربنا وخالقنا، والتفكر في طول البقاء في القبور وفي شدائد وأهوال يوم النشور، وفي دقة الحساب على الصغير والكبير من أعمالنا، وكيف المخرج يوم تبلى السرائر، وإلى أين المصير إذا كان الإنسان خاسراً يورث الخوف والندم والتوبة النصوح.

فالسعيد والله من حاسب نفسه لنفسه كي لا يكون ممن قال الله فيهم: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧]، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (سيئة تسوؤك خير من حسنة تعجبك) صدق سلام الله عليه، فتذكرك للسيئة يورث الندم والخوف والتوبة، والغفلة تورث القساوة وتثبيط الجوارح عن طاعة الله.

نعم، كم من ناس يغبطهم الآخرون وهم لا يعرفونهم ولا يدرون بأحوالهم ولو عرفوا أحوالهم وما هم فيه من البلاء والهموم والمصائب لما حسدوهم على شيء مما رأوه وعاينوه من المباني الشاهقة والمحلات التجارية وغير ذلك.

بعض الأثرياء طريح الفراش في العناية المركزة بين الموت والحياة من جلطة أصابته أو فشل كلوي أو سرطان والعياذ بالله أو التهاب رئوي أو انزلاق في العمود الفقري أو غير ذلك من الأمراض التي بعض الناس يتمنى من أجلها الموت، نسأل الله السلامة.

فالتفكر فيما ذكرت يخفف حدة الدنيا ويزهد الناظر فيها وكذلك الإكثار من ذكر الموت يقطع حبائل الشهوات ويهون على من أكثر من ذكره كل المصيبات، صور نفسك وأنت مستسلم لملك الموت وهو يعالج إخراج روحك في حالة لا تدري ما أنت قادم عليه ثم فكر فيمن هذه حاله من أهل الدنيا الواسعة هل أنقذهم ما جمعوا أو شفع لهم ما منعوا، تواردت عليهم الهموم من كل فج عميق، ونظرت إليهم المصائب من كل ناحية، كم خبأ مفاتيحه من قريب وبعيد، وفي تلك الحالة سلمها، ومن شدة الآلام تناسى عنها، وكم قرت عينه بنظرة في زوجة حسناء وولد مليح الخدين كان قلبه يرتاح إذا غدا إلى سوقه بذكرهما ويفرح إذا أقبل إلى بيته بالوصول إليهما، وفي تلك الحالة نسيهما لما قد دهاه من الأوجاع المؤلمة، فبصره كاد أن ينخسف ونَفَسُه أوشك على الانقطاع فلا يكاد يعرف مَن حواليه ولسان الناظر إليه يقول من صميم القلب: لا إله إلا الله ما أضعف الإنسان.

نسأل الله حسن الخاتمة. آمين رب العالمين.

[كثرة الوفاق نفاق]

ومن حكمه سلام الله عليه قوله: **(كثرة الوفاق نفاق):**

صدقت يا أبا الحسن صلوات الله عليك حياً وميتاً، فكم من قائل لغيره بلسانه: صدقت، وهو كاذب بجنانه لغرض من الدنيا الفانية، يكتم الحق وهو يعلم أن الحق خلافه، يوافق من تكلم بالباطل، ولا يخشى مولاه والرقيب عليه، وهل هذا إلا محض النفاق فكم من كلمة أرضا بها غيره وقد أغضب بها مولاه الذي يعلم سره وعلانيته، وسوف تكون وصمة عار إذا قدم عليها يوم القيامة سجلتها بنان أصابع يديه بمرأى ومشهد من أقدامه، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ۝٦٥﴾ [يس].

ويعضد تلك الشهادة ما نطقت به الأسماع والأبصار والجلود وقد ورد جهنم: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ۝٢٠﴾ [فصلت].

نعم، إذا كتم صديق كلمة حق وأنت تعلم أنه يعلم فإنه ينقص من عينك ويتحول من صديق إلى عدو، ومن صادق إلى كاذب، ومن أمين إلى خائن، ومن ناصح إلى غاش، ومن كريم إلى لئيم، ألا ترى حين كتم أحد الصحابة شهادته لعلي عليه السلام كيف دعا به ووسمه الله بعلامة لا تواريها العمامة، وكم لهذا من نضير، وما يعقلها إلا العالمون.

نسأل الله السلامة من هفوات اللسان وخطرات الجنان، آمين رب العالمين.

وقال عليه السلام: **(وكثرة الخلاف شقاق)**:

ينبغي لكل طالب علم خاصة، وغيره من المكلفين عامة، أن يلقي لهذه الحكمة باله، وأن يتذوقها ويعظ عليها بناجذيه إذا أراد السلامة من سكاكين الخلاف الباترة لحبال الوصل بينه وبين الآخرين، فنتيجةُ العناد والخلاف إذا كثر- الشقاقُ ثم الفراق الذي لا يبقى معه رحمة ولا حرمة، ألا تسمع لقول خير البشرية صلى الله عليه وآله وسلم محذراً عن هذا السم القاتل قائلاً: ((صلاح ذات البين أفضل عند الله من عامة الصلاة والصيام، والحالقة المبيرة هي التفرقة لا أقول حالقة للشعر، ولكن حالقة للدين)) الله المستعان فما عليك أيها المؤمن التقي والطالب للعلم الزكي إلا أن تحضر بالك عند المحاورة بينك وبين الآخرين أن تحترمهم وتغضي عن الهفوات وتفتح صدرك لبعض الغلطات كي تكون من الكاظمين للغيض والعافين عن الناس والله يحب المحسنين.

نعم، لا يقع الخلاف إلا بينك وبين واحد من اثنين إما أحمق فيجب عليك الإغضاء والصفح عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان]، وإما عاقل عارف فيجب عليك النظر في قوله والتأمل في منطوق كلامه وفي مفهومه كي لا تزل بك قدمك في مزالق الحماقة، فإن كان كلامه سداداً فقد ظفرت بالفائدة وترك الخلاف، وإن كان خطأً فعليك أن تقيل عثرة الكريم كي يقيل الله عثراتك ويغفر زلاتك، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[فراسة العاقل كهانة]

ومن حكمه عليه السلام قوله: **(فراسة العاقل كهانة):**

أراد والله أعلم من خلال هذه الكلمة سلام الله عليه النصيحة لأصحاب العقول الكبيرة بأن لا يطلقوا لعقولهم عنانها في الفراسة ومن أجل ذلك يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء]، وكم تفرس الإنسان وبنى فراسته على الوهم وينكشف له خلاف ذلك، فعلى كل عاقل أن يحسن ظنه بإخوانه المؤمنين ولا يطاوع هوى نفسه ويملأ خياله سوء ظن؛ لأنه يترتب على ذلك عداوة من قلبه لغيره وإغراء لآخرين بذلك الغير فيتحول الصديق عندهم عدواً، وربما ضروه بسبب ذلك الإغراء فيكون المتفرس الذي أغراهم به هو المسؤول عند الله.

فمن يترك ما يترتب على الفراسة خوفاً من التبعات فإنه أسلم له من المعاصي والخطيئات، وليعلم كل عاقل أن النفس أمارة بالسوء إن لم يجاهدها ألقت به في مهاوي الهلكة.

نعم، العلاج لقمع النفس ولسوء الظن بالآخرين أن يشغل الإنسان نفسه بنفسه وأن يملي عليها سيئاته الخفية التي اقترفها في غفلة من الناس وقد بارز بها ربه من غير حياء ولا خجل وآذى حفظته باقترافها فهذه النظرة حجاب بينه وبين عيوب الآخرين.

نسأل الله أن يشغلنا بذكره عن كل ذكر، وأن يشغلنا بعيوبنا عن عيوب خلقه. آمين رب العالمين.

[إذا كان الرفق خرقًا فالخرق رفقا]

ومن حكمه عليه السلام قوله: **(إذا كان الرفق خرقاً فالخرق رفقاً):**

صدق عليه السلام بعض الناس يطلق لأولاده وحرمه عنانهم وكذلك بعض الرعاة فيترتب على ذلك الشر العظيم ويندم حين لا ينفع الندم ففي شأن النساء يقول عليه السلام لولده الحسن في شأن المرأة: (إنها ريحانة وليست بقهرمانة) فعلى المؤمن أن يحسن أدب أولاده وبناته ونسائه، وليعلم أنه مسؤول أمام الله في ذلك وأنه إن لم يفعل ذلك ضاعوا وألقت بهم المعاصي والتساهل في مهب الريح وسوف يندم كل راع على ذلك التساهل حين لا ينفع الندم وقد رأينا وسمعنا من يصيح بأعلى صوته من عقوق أولاده وجراءة حُرَمه عليه بسبب التساهل.

نعم، يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ۝١٩﴾ [الحشر]، ويقول سبحانه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة:٦٧]، والجزاء من جنس العمل.

وقد حذرنا الله غاية التحذير بقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۝٦﴾ [التحريم]، وفي الحديث: ((كلكم راعٍ وكل راع مسؤول عن رعيته)).

نسأل الله السلامة من تبعات الأهل والأولاد إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[حفظك لما في يديك خير لك من صبر الناس عليك]

ومن حكمه وتأديبه عليه السلام قوله: **(حفظك لما في يديك خير لك من صبر الناس عليك)** بهذا اللفظ أو معناه:

درر ذهبية صاغها حكيم فكم حكمة صنعت على لسانه ودرجت من بين شفتيه وأسنانه حقيقة بأن تشد لها الرحال، فالبصيرة في الإنفاق من شيم أهل العقول الزكية والأخلاق المرضية قال ربنا جل شأنه في وصفهم: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان]، والتبذير من عمل الشيطان، فالتدبير من عمل الشاكرين والتبذير عمل إخوان الشياطين ومع البصيرة يحفظ الإنسان ماء وجهه مع القوي والضعيف.

يقول أمير المؤمنين سلام الله عليه: (استغن عمن شئت تكن نضيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره، وأحسن إلى من شئت تكن أميره)، ولا يجتمع زهد وفقر ولا عدم المبالاة في الإنفاق والشكر،فالحكيم تكفيه الإشارة.

قال عليه السلام: (العلم نقطة وكثره الجاهلون) فمن أخذ بهذا التأديب فقد أخذ بحظ وافر من الحكمة، كيف والمؤدب أمير المؤمنين وسيد الوصيين وعيبة علم رسول رب العالمين، صنو الرسول وزوج البتول من أيد الله به دين الإسلام وذريته حجج الله على خلقه إلى يوم الزحام، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[نوم على يقين خير من عبادة على شك]

ومن حكمه عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: **(يا قنبر، نوم على يقين خير من عبادة على شك):**

صدق سلام الله عليه ورضوانه ورحمته وبركاته فالشك مفتاح الشبه فكم من جبل راس في عقيدته ويوم من الأيام وقد تحول إلى كثيب رمل بسبب الشبه وليته بقي رملاً ولكنه تحول إلى وحل تكرهه النفوس، وقد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين بقوله: (وليقصرن قوم كانوا سبقوا) ومخاطبته للزبير بن العوام قائلاً له: (ما لك يا زبير عرفتني في نجد وأنكرتني في الحجاز).

وكم تنكر للعلماء والأئمة من أناس كانوا يفضلون الموت دونهم، ويوماً من الأيام اعتراهم الشك في قادتهم وعلمائهم فتحولت المحبة إلى كره، واليقين إلى شك، والبصيرة إلى عمى، ثم من سلم إلى حرب، فنعوذ بالله من الوقوع في الشك بعد اليقين.

فعلى المؤمن إذا كان على يقين من أمره أن لا يدع للشك طريقاً إلى يقينه، وعلى المؤمن أن يلازم الدعاء في ليله ونهاره وليتقرب إلى الله بصنائع الخير فإنها تقي مصارع السوء.

ومن أعظم وأقوى ما يثبت الإنسان على دينه الثبات على حب آل محمد يقول المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((ما أحبنا رجل أهل البيت فزلت به قدم إلا ثبتته أخرى))، وكذلك التوبيخ للنفس بما قد وقع فيه من الزلات، ومن الزلات فرحه بالمدائح وتكاسله عن الطاعات، وليفكر فيمن زلوا ما أكثرهم فلا يبقى عند الاختبار والابتلاء إلا القليل.

وليعلم كل مؤمن أن الشك بعد اليقين بداية العمى والضلال ومفتاح لأنواع الشرور والوبال وسبب قوي في الضعة عند المؤمنين فالشيطان لعنه الله يريد أن يخرج المؤمن من الدين أولاً ثم ينكد عليه أسباب معيشته حتى يقع في مستنقع الأطماع الدنيوية ويتورط في جلب المال من غير حله ثم بعد ذلك يهين من هذا حاله عند أشرار بني آدم فيقع مسخرة لأخبث جنس من البشر قائلين: انظروا إلى المتفتفين وإلى من يدعي الدين، أرادوا بذلك ذم الأخيار المؤمنين وإزراءً على حملة دين الله القويم فصار الشاك في دينه بعد اليقين سبباً في تعريض الدين وأهله عند حثالة الناس المفسدين.

فإذا طرأ عليك شك أيها المؤمن في عقيدتك فعليك أن تفزع لذلك وتبحث عن العلماء الأتقياء فإذا نصحوك فاقبل النصيحة ولو كانت مراً، وإذا رديت نصيحتهم فاعلم وتيقن أنك قد بليت بداهية عظمى وأن أذني قلبك قد أصبحتا صماً.

حسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[حاسب نفسك لنفسك]

ومن حكمه عليه السلام قوله: **(حاسب نفسك لنفسك فغيرها من الأنفس لها حسيب غيرك)**:

صدق سلام الله عليه، يشهد لذلك قول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥]، أراد عليه السلام أن تشتغل بنفسك ولك في نفسك شغل عن محاسبة الآخرين، حدث نفسك وأصدقها الحديث عندما تذكر يوماً من أيامك الماضية وقد مريت من طريق فوجدت فيها امرأة غير محرم فنظرت إليها ولو كان معك أحد من أبناء جنسك لم تنظر إليها إما لأنه من أهل الدين فعظمته أو لأنك تدعي الدين وتريد أن تعظم نفسك عنده.

أما رب العالمين فلم تخشاه وهو الرقيب عليك ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر]، وعليك منه ملكان كريمان لا يغيبان عن يمينك ويسارك كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار]، فهل هذا إلا عين القبيح وقلة الحياء من خالقنا ورازقنا الذي غذانا بنعمه وأسبغ علينا مننه وصدق من قال: (إذا لم تستح فاصنع ما شئت)، وعلى هذا فقس. نستغفر الله العظيم من كل ما بارزنا به خالقنا ورازقنا ونتوب إليه من كل ذنب، ونسأله الستر في الدنيا والآخرة إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[الفائزون بها غداً الهاربون منها اليوم]

ومن حكمه عليه السلام ورضوان الله عليه في ذم الدنيا قوله: **(الفائزون بها غداً الهاربون منها اليوم)** وقال عليه السلام: **(نعمة الدار لمن لم يتخذها داراً):**

انظر إلى هذه الأنوار الساطعة والجواهر الذهبية اللامعة كيف تكون نعمة الدار لمن لم يتخذها داراً إلا بالنظر في أحوالها وسرعة زوالها وأين ذهبت بعشاقها المفتونين.

تاهت فيها حلومهم فقطعت أوداجهم ومزقت أنياط قلوبهم اتخذوها بدل خالق السماوات والأرض رباً يرضون من أجلها ومن أجلها يغضبون وما هي إلا أيام قلائل وقد صرعتهم وقتلتهم شر قتلة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ۝٧ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس]، صدق الله العظيم، فقد كان لها كل توجهاتهم يعملون لها نهارهم ويفكرون لها في ليلهم، وصدق الله العظيم القائل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ۝١٨ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ۝١٩﴾ [الإسراء]، فالهريبة منها اليوم أن يجعل الإنسان الموت نصب عينيه ليله ونهاره، وفي حضره وفي أسفاره وينظر فيمن قد عفر خده بين التراب وفارق أهله والأحباب وكيف يكون جوابه إذا جاءت كل نفس تجادل عن نفسها وقد أيقن حينئذ أنه مسجل في دواوين الغافلين الذين خسروا أنفسهم

وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين.

أيها المكلف ولا سيما طلبة العلم ومن هم على طريقتهم- علينا جميعاً أن نستيقظ من نومتنا القاتلة ونمعن النظر فيما يؤول إليه أمرنا وما نحن عليه قادمون، نمعن في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن الدنيا دار من لا دار له، ويجمعها من لا عقل له)) وقول أمير المؤمنين: (إنها كالحية مسها لين وسمها قاتل) وقوله: (احذروا حلاوة رضاعها لمرارة فطامها).

وقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم إنها أسحر من هاروت وماورت، وقول الوصي عليه السلام: (من غني فيها فتن ومن فقر فيها حزن)

فلا يسع طالب الجنة إلا أن يحارب حبها بكل سلاح من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالعقل فالعقل هو السيف الباتر لحبائل الدنيا وكما قال أمير المؤمنين: (التفكر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور).

وعليك أن تستحضر في قلبك مشهد القيامة وندامة الهالكين، ﴿يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفرقان]، قائلين: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون].

نسأل الله بمنه وجوده وقدرته ورحمته أن يتداركنا بألطافه الخفية وأن ينزع حب الدنيا من قلوبنا إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الغنى والفقر بعد العرض على الله]

ومن حكمه لكشف الحقائق قوله عليه السلام: **(الغنى والفقر بعد العرض على الله):**

سبحان من يهب ما يشاء لمن يشاء، هاتان الكلمتان حقيقتان أن تحلا محل وساوس الصدر، وأن تكونا نصب عيني كل مكلف.

أراد عليه السلام أنه لا غنى وإن تشعب في مشارق الأرض ومغاربها ما دام الموت وراء صاحبه والحساب أمامه، فلا يدري صاحبه أيكون بهذا الحطام سالماً من تبعاته، أم يكون سبباً في هلاكه، كيف وقد قال عليه السلام: (من غني فيها فتن، ومن فقر فيها حزن)، وفي الحديث: ((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه،وعن حبنا أهل البيت)).

نعم، كل غنى في هذه الدنيا مصيره النهاية، وكذلك الفقر، أما غنى الآخرة وفقرها فإنهما سرمديان أبديان، فالغني حقيقة من صفي حسابه بعد العرض، وأخذ كتابه بيمينه قائلاً: ﴿**هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾**﴾ [الحاقة]، فاز بملك الله العظيم، وبمجاورة النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

فمن هنا ومن خلال أخذ النصيحة من هاتين الكلمتين والدرتين العظيمتين ينبغي أن تسمج كل تجارة في هذه الدنيا في عين صاحبها، ويعظم خوفه منها أكثر من راحته بها، فإنه لا بد يوماً من الأيام مفارقها، ولا يبعد أن تكون في الاخرة حسرة عليه ووبالاً، وأن تتحول من لذة وفرح إلى عذاب ونكال؛ إذا منع منها حقوق الفقراء والمستضعفين، أو أخذ منها شيئاً من غير وجهه، أو تكبر بها على أحد من المخلوقين.

فعلى صاحب التجارة أن يعد الجواب لكل صغيرة وكبيرة من الأموال من أين أخذ؟ وفيم وضع؟ وأي فقر أعظم من فقر الآخرة؟ فقر الآخرة أبدي في نار وقودها الناس والحجارة، في عذاب الله الشديد بين أطباق النيران، التوبيخ من الملائكة والتعذيب في منتهاه، قيودها لا تُحلّ وحرها لا يكل، شرابها يقطع الأمعاء ويشوي الوجوه، ثياب أهلها من القطران وهو النحاس، فراشهم في جهنم قطع من النار، ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف:٤١]، تعفر آنافهم بين الحميم، وهم يسحبون على وجوههم ذوقوا مس سقر، يطوفون بينها وبين حميم آن، لهم فيها زفير وشهيق.

فهذا هو الفقر الحقيقي الذي أراده أمير المؤمنين عليه سلام الله ورضوانه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً.

اللهم بحق القرآن العظيم نسأل، وبجاه رسول الله وآل بيته نتوسل، أن تحرم لحومنا ودماءنا وعظامنا على النار يا أرحم الراحمين، آمين رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين. آمين.

[من حذرك كمن بشرك]

ومن حكمه عليه السلام الجامعة قوله: (من حذرك كمن بشرك):

انظر نصيحة حجج الله على خلقه، الكثير يعتبر التحذير ذم وتحقير، أراد التحذير إذا كان في محله ومن أهله، فينبغي أن تفرح به كمن بشر بما يسره، والراد للنصيحة والتحذير إما مغرور معجب بنفسه، أو متكبر على غيره، وكلاهما مذمومان، وهل هلك وتقحم في الشبهات ووصل إلى مستنقع الردى والهلكات إلا من أعرض عن تحذير العقلاء، ونصائح أهل البصائر والأخلاق المرضية.

فأنا أنصح إخواني من المرشدين وطلبة العلم الشريف أن لا يقدم أحدهم على ما حذر منه، وأن يستنصح من وجهه للإرشاد في أي بلد كان، وإذا اشتبه على أحدهم أمر من الأمور أن لا يقدم على شيء إلا بعد المشاورة.

وليعلم كل داع إلى الله أنه إذا توجه إلى بلد من البلدان للإرشاد أنه يمثل من أرسله خاصة، والعلماء عامة، فعليه يتوجب ويتحتم أن يصون أعراض العلماء، وأن لا يتقحم في هوى نفسه وينفرد بأشواره.

وليعلم كل مرشد وناصح أن مفتاح الخير والقبول وكل خصلة حميدة هو التعفف عما في أيدي الناس، والتواضع وحسن الأخلاق والصدق والوفاء والصبر، وأن لا يذكر شيئاً من أحواله المادية عند الناس، بل يبث همومه على من بيده خزائن السموات والأرض، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق]، ومن جعل الهم هماً واحداً كفاه الله سائر الهموم وأتته الدنيا وهي راغمة. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه]

ومن حكمه عليه السلام قوله: **(ما هلك امرؤٌ عرف قدر نفسه):**

جوامع للهدى، ولأمرٍ ما ضرب صدره قائلاً: (إن هاهنا علماً جماً)، وكيف يهلك من أمسى وأصبح متهماً لنفسه لما وقع فيه من الزلات، ولما قد حوته صحيفته من الخطيئات، تتجلى له ذنوبه إذا مُدِح، وتبرز له هفواته إذا فرح، نفسه تراوده أن يظهر بشخصية مرموقة عند الأصدقاء فيقول: اخسئي يا أخت الشيطان وعدوة الرحمن كم صرعتي من أناس على خدودهم، اغتروا بحلم الله عنهم وبمدح المادحين، تناولوا سماً قاتلاً يحسبونه ماءً زلالاً.

ألا تسمع إلى قول أمير المؤمنين: (براهم الخوف بري القداح، يحسبهم القوم مرضى وما بالقوم من مرض، ولقد خالطهم أمر عظيم، يحاسبون أنفسهم ليلاً ونهاراً، وسراً وجهاراً).

وكيف لا يعرف قدر نفسه والكرام الكاتبون عليه قائمون،

يزبرون ما صدر من جَنَانه وخرج من لسانه، ووراءه موت الأبدان ونقلها إلىٰ أبغض مكان، وما بعد ذلك أدهىٰ وأمر من العرض علىٰ الملك الجبار، فالربح الجنة والخسران النار.

فلا يغتر بمدح المادحين وإن كانوا من أهل التقوىٰ إلا من عقله كعقول سفهاء الأحلام، الذين لا يفرقون بين حلال ولا حرام، يحكمون بالظاهر والعلم عند عالم الغيب والشهادة.

فاحذر لا تكن مذبوحاً بالمدائح وأنت تعلم أن صحيفتك قد طفحت بالفضائح، وما عسىٰ أن ينفعك المادحون إذا جاءت كل نفس تجادل عن نفسها، ومعها سائق وشهيد، جاءت إلىٰ موطن الويلات والحسرات في يوم تبلىٰ فيه السرائر ويظهر ما حوته الضمائر.

اللهم استرنا بسترك يوم العرض، واغفر زلاتنا آمين رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[البخل جامع لمساوئ العيوب]

ومن حكمه عليه السلام ونصائحه قوله: **(البخل جامع لمساوئ العيوب، وهو زمام يقاد به إلىٰ كل سوء)**:

البخل والحرص مذمومان عند ربنا سبحانه وتعالىٰ، وعند جميع الأنبياء، وعند أصحاب العقول الزكية، وخير الأمور أوسطها لا إفراط ولا تفريط.

نعم، البخل يقود صاحبه إلىٰ منع الواجب من الإنفاق علىٰ من يعول، ومنع الحقوق لأرحامه وضيفه، ومنع الحقوق التي تجب عليه في أمواله.

وأيضاً فإنه يغري غيره بالبخل خاصة من اقتدى به، ولا يلقي لوعد الله بالخلف بالاً، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ:٣٩]، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [المزمل:٢٠]، وقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((ما نقص مال من صدقة)) ونحو ذلك.

فالبخل ينافي التوكل على الله، ويكون صاحبه مذموماً عند الصغير والكبير، والقريب والبعيد، البخيل يعيش عيش الفقراء، ويحاسب محاسبة الأغنياء كما قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام، فانظر إلى قوله عَلَيْهِ السَّلَام: (البخل جامع لمساوئ العيوب) فإنك ترى البخيل يفرح بما أخذ من حقوق الآخرين، ولا يبالي بما يقال في عرضه، ويعتبر الكرم من غيره إسرافاً وتفريطاً، يريد أن يكون الناس على طريقته مقتفين، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝٢٣ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝٢٤﴾ [الحديد]، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((البخل شجرة في النار)).

اللهم قُدْ بنواصينا إلى الإنفاق في باب كل خير آمين يا رب العالمين.

[المرء مخبوء تحت لسانه]

ومن حكمه عَلَيْهِ السَّلَام قوله: **(المرء مخبوء تحت لسانه):**

درة ثمينة يتنافس في معرفة ثمنها صاغة هذا الشأن، كم حوت من الجواهر النفيسة، تزهر شيئاً فشيئاً حتى ملأ نورها الآفاق، وتنافس في هوايتها جميع العشاق، ينفح ريحها العبق إذا ذكرت على

ألسن العطارين، ويحلو ذوقها من بين الأثمار اليانعة في جميع حدائق المزارعين، صلوات الله وسلامه على من نطق بها وصاغها من يومنا هذا إلى يوم الدين.

نعم، تنكشف شخصية المرء من خلال كلامه، فالناطق الأديب يكتسي من الثياب أفخرها، ومن الجواهر أحلاها، ومن العطور الثمينة أغلاها، كلامه يشفي الأرواح من أسقام الجهل، له في كل يوم غنائم من الدرر، كلامه سداد، ونصائحه رشاد، يدخل السرور في قلب من خاطبه، إن نصح سقيماً شفاه بتذكيره ما وعد الله الصابرين، أو فقيراً أغناه بأدلة وبراهين اليقين، هو محبوب عند من قرب ومن بعد، إذا قام جليسه من عنده قال:الحمد لله حصلت على ضالتي المنشودة، فسبحان واهب الألسنة والطباع.

بينما ترى واحداً لا يُجتنى من لسانه إلا الحنظل والمر، يهدم شخصيته عند من عرفه ومن جهله شيئاً فشيئاً وما على عدوه إذا سمع كلامه إلا أن يقول: الحمد لله الذي شفى غيظي بما يخرج من لسانه له في كل يوم جديدٌ من المساوئ لا يرعوي لناصح ولا يرتدع من شماتة كاشح، يجعل الصديق عدواً إذا هداه، والعدو صديقاً إذا جامله بدهاه، كلما خرجت من لسانه واحدة سود بها وجهه ودنس بها ثيابه ومزق بها ثوب ستره، لم يُبْقِ له صديقاً ولا رفيقاً إلا الشيطان الرجيم. نسأل الله الرحمة والعافية إنه أرحم الراحمين.

[من عذب لسانه كثر إخوانه]

ومن حكمه التي صاغها حتى صغرت في لفظها وعظمت في ذاتها وأورقت وأزهرت وأثمرت في جميع أوقاتها قوله عليه السلام: **(من عَذُبَ لسانه كثر إخوانه)**:

شبيه العين النابعة بالماء القراح التي يَرِدُها من قَرُب ومن بَعُد لحلاوة مائها وعذوبة زلالها، كذلك ألسنة رياحين القبائل ومصابيح الظلام لا يخرج منها إلا الطيب من القول، شفاء من كل داء، وعافية من كل بلاء، من سمع كلامهم أحبهم ونشر أخبارهم حتى جلبوا بألسنتهم وصدق نواياهم الإخوان من جميع البلدان، يحبهم إخوانهم أبلغ من حبهم لأنفسهم وأولادهم؛ لأنهم تغلبوا على أنفسهم وقهروا عنادهم وكظموا غيظهم حتى عرَّق الهدى وفرع وأثمر في صدورهم كلمة أحدهم في النصيحة كمن أحيا نفساً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً.

لين كلامهم يشبه الحرير الناعم، وفي ذوقه يشبه العسل الشهد وفي فائدته كالعافية في الأبدان، زينتهم الخصال الحميدة وصدقاتهم الأقوال السديدة، ونصيحتهم الآراء الرشيدة، يذكرهم من نصحوه بعد العشرات من السنين، ويبالغ في الدعاء لهم من عرفوه وهدوه؛ لوجودهم البلاد ممطورة والقلوب بالسعادة مغمورة نورهم عم الديار التي عرفوا فيها وبين أهلها إذا دار الكلام بين جماعة وذكر كلام أحدهم أشبه النجوم الزواهر بين الكلام، سبحان واهب الخصال الحميدة والآراء السديدة والأقوال المفيدة.

اللهم حسّن بقدرتك أخلاقنا وسدد خطانا في كلامنا ونوايانا وأفعالنا يا أرحم الراحمين وصلى الله وسلم على رسوله الكريم وعلى أمير المؤمنين وآلهما الطيبين الطاهرين.

[ما هلك امرؤ عرف قدره]

ومن حكمه الكاشفة لحقائق الإنسان قوله عليه السلام: **(ما هلك امرؤٌ عرف قدره):**

كيف يهلك من يبدو له من نفسه في كل يوم بل في كل ساعة عيوب جديدة ومساوئ عديدة يدس نفسه إذا ذكرها بين التراب لا يدري من أين يبتدئ أيبتدئ بمخازي قلة الشكر على ما أنعم الله عليه؟ أم بذكر النوايا الخبيثة؟أم بنظرات بصره إلى ما نهي عنه في كتاب الله؟ وإذا وجَّه نظر قلبه إلى دواوين الكلام وما صدر من لسانه شعر أنه عائم في وسط بحر عميق من المعاصي.

كم غيبة ونميمة وبهت وكلام وقت الغضب جلف يواجه به ضعيفاً في بيته وبين مجتمعه ويقهر به والدته ووالده، كذلك الأموال التي أخذها وأنفقها هو يعلم أنه عنها مسؤول ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨﴾ [الشعراء]، ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف]، فكيف يهلك من نظر في أحواله بهذه النظرات، كيف يهلك بعجب أو سمعة أو يغتر بثناء من أثنى عليه، كلا لا يغتر إلا من صك أبواب العبر وترك التفكر في أحواله وما كتبه عنه حفظته الكرام الكاتبين ونسي أو تناسى عن مراقبة أرحم

الراحمين، أما من الخوف شعاره وحمل الأوزار على الظهور يوم القيامة دثاره فهو بمعزل عن الغفلة والغرور، يحاسب نفسه لنفسه محاسبة الشريك لشريكه، رحمة الله عليه نازلة لغسل سيئاته، وبركات الله عليه شاملة في جميع حركاته.

فالسعيد -والذي رفع السماء وبسط الأرض- من اشتغل بذنوبه المتراكمة ومساويه النتنة فأخمد نارها ببرد التوبة النصوح حتى يلقى ربه.

نستغفر الله العظيم من كل ذنب أذنبناه، علمناه أو جهلناه، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[من عرف نفسه فقد عرف ربه]

ومن حكمه عليه السلام الدالة على معرفة خالقنا قوله: **(من عرف نفسه فقد عرف ربه):**

سبحان الله كما قيل: المستدل هو الدليل، ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦ الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِى أَىِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار]، من الذي شكلك في صنعتك وجعلك لحماً ودماً وعصباً وعظماً وعروقاً وبشراً وشعراً؟ من الذي أمسك أوصالك فشدها وعلى الحركة والسكون وحمل الأثقال أقدرها؟ من الذي جعل أجفانك حساسة لحماية عينيك؟ هل فكرت في لسانك بأن جعله خالقه وبارئه مختبراً لذوق ما وصل عليه فلا يوجد له مثيل في مختبرات العالم كلها، فطر سمعك على التقاط الكلام

وتخزينه في دواوين الذاكرة عشرات السنين وبعضه مدى العمر.

انظر في عينيك كيف لحمتهما تخالف لحمة اللسان، جعل اللسان مسطحاً والعينين مدورتين والقلب هرمي ولحمته سوداء قاسية لحركته في حياتك كلها، والرئة حمراء خفيفة لامتلائها من الهواء وتفريغها.

وفكر في شكل الكبد والطحال والكلى وكذلك من أي شيء خلقت الأمعاء والمعدة.

انظر في تركيب الله العجيب للعمود الفقري بذلك الشكل، وقد رأيت فيما أكلت من لحوم الحيوان ما يفيدك معرفة بخالقك فسبحان من هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وبكل ما يدرك سميع بصير.

زادنا الله ثباتاً ومعرفة بخالقنا وبصيرة بما كلفنا إنه على ما يشاء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[بشر مال البخيل بحادث أو وارث]

ومن حكمه عليه السلام قوله: **(بشر مال البخيل بحادث أو وارث):**

ولا ينبئك مثل خبير البخيل يحرم نفسه ويخلف ما جمع لعدوه، البخيل مذموم عند الله وعند رسوله وعند جميع المؤمنين ولا يذم أحد على خصلة من الخصال المذمومة إلا وهو قادر على الخروج منها والتخلي من شناعتها وإلا كان تكليفاً بما لا يطاق والله يتعالى عن ذلك، فعلى المؤمن أن يتأدب بآداب الله في إنفاقه وإمساكه قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان].

نعم، وصف أمير المؤمنين البخيل بقوله يعيش عيش الفقراء ويحاسب عليه محاسبة الأغنياء، البخيل ليس له ثقة بالله يصغي بسمع قلبه إلى توعد الشيطان لعنه الله: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا**﴾ [البقرة:٢٦٨].

فعلى المؤمن أن يثق بالله، وليعلم أن بيد الله خزائن السماوات والأرض ﴿**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ**﴾ [النحل:٩٦]، ﴿**وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ١٩٨**﴾ [آل عمران].

البخيل يتمادى في غيه عن تأدية حقوق الله وحقوق المخلوقين، يطالبه أصحاب الدين شهوراً وأحياناً سنيناً ولا يلقي لذلك بالاً، أذكر قصة رجل جاء إلى أحد الإخوان وأخرج بين يديه أموالاً وقال: أريد أن تخرج زكاة أموالي، فلما أخرج منها الزكاة أو بعضها قال: ما هذا؟ قال: هذه الزكاة، فأقبل على الفلوس وهي بين يديه ولفها وقال: تريد أن تفلسني؟ فأصر على ترك الواجب بين ماله. فهذه نتيجة البخل.

اللهم ارزقنا بصيرة في إنفاق ما أعطيتنا واصرف عنا البخل يا أرحم الراحمين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق]

ومن حكمه عليه السلام قوله: **(الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق، والتقصير عن الاستحقاق عي أو حسد):**

التملق من الكلام هو الذي يقصد به صاحبه مصلحة دنيوية وإلا لما بالغ في المدح والثناء، والعي هو ضد الفصيح.

قوله عليه السلام: (أو حسد) أعاذنا الله من الحسد، الحسد نار محرقة للحسنات وآفة تؤدي بصاحبها إلى موارد الهلكات، وهل وقعت العداوة للأنبياء إلا من أجل الحسد، وكذلك للعلماء، وللأغنياء كذلك.

الحاسد يتجرع الغصص مما يعاني، يسهر ليله من أجل المحسود ولا يدري كيف يفعل بزوال نعم المحسودين، إذا نسي ذكّره الشيطان الرجيم، يبرر له ذلك وأن المحسود يستحق العداوة من أجل الدين.

نعم، أراد أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: والتقصير عن الاستحقاق عي أو حسد- هو أن بعض الناس يعلم أن ذلك الشخص يستحق من المدح والثناء الكثير فإذا أراد أن يثني عليه وعلى عمله الذي يشهد له به القريب والبعيد خرجت كلمتان أو ثلاث كلمات من على لسانه ومن بين شفتيه، ولها ألم ووجع يشبه الجمر الموقدة متحرياً عند من حضر أن لا يلقي لها بالاً، نسي وإن كان من أهل المعرفة أن الرفعة من أرحم الراحمين وأن من أراد الله رفعته لا يضره عداوة المعادين ولا حسد الحاسدين، ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[التجربة لقاح العقل]

من الحكم الجوامع قول الوصي عليه السلام: **(التجربة لقاح العقل):**

نعم، ليس الخبر كالعيان جرب فيما بينك وبين الله سبحانه وتعالى ترى نتائج هذه الحكمة، صل رحمك ترى الزيادة ادفع بالتي هي أحسن ترى الولاء والمحبة، زكِّ مالك بطيبة من نفسك وتصدق ترى البركة، كن عذب اللسان يكثر إخوانك، غير أنه لا بد من التصديق بينك وبين قاضي الحاجات يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى۝٧﴾ [الليل].

انظر فيمن يبر والديه بصدق وصبر وتعطف وتلطف فإنك ترى أولاده يبرونه لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((بروا آباءكم تبركم أبناءكم)) وكذلك أهل صنائع الخير تراهم أقل ضرراً من غيرهم لأنها تقي مصارع السوء لذلك قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ۝٦٠﴾ [الرحمن].

فهذه الأمور وما شاكلها إذا عملها الإنسان ورأى نتائجها زاده ذلك بصيرة في دينه وثباتاً في يقينه، وما ذلك إلا لأنه جرب المعاملة مع ربه، وأصلح نيته بينه وبين أهل جنسه، وكل تجربة تزيد العقل، وسواء نجحت التجربة أم حصل ضدها، إن نجحت فالقلب يطمع في مثلها ويتشوق إلى فعلها، وإن لم تنجح ازداد القلب بصيرة في تركها وعدم فائدتها.

اللهم زدنا بصيرة في كل عمل عملناه أو أمر تركناه، وأصلح ضمائرنا وظاهرنا وباطننا وديننا ودنيانا يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

[لا شفيع أنجح من التوبة]

ومن حكمه عليه السلام: **(لا شفيع أنجح من التوبة):**

نعم، الشفيع يتوصل به صاحب الحاجة إلى نيل غرضه إذا قد أذن الله بتيسيرها فالأمور راجعة إلى إرادة الله عز وجل غير أن الشفعاء يتفاوتون بينهم فبعضهم له جاه قوي وآخر دونه، والبعض شفاعته وعدمها سواء عند صاحب الحاجة، أما عند الله فأجره عظيم وثوابه واف، فأخبر سلام الله عليه في هذه الحكمة الجامعة والدرة اللامعة أن التوبة عند قاضي الحاجات ومن عنده نيل الطلبات أنجح شفيع في نيل المطالب وإدراك الرغائب، فالولد والفضة والذهب من أعز الأشياء في هذه الدار الفانية وقد وعد الله بها عباده التائبين في سورة نوح عليه السلام، وجمع الله الخير كله في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦]، فمن أراد خير الدنيا والآخرة فعليه بالتوبة النصوح ليلاً ونهاراً، وسيظفر بمطلوبه ويحصل على محبوبه؛ لأن صاحب الوعد أصدق الصادقين وأقدر القادرين.

نعم، أعظم مطلوب من الله سبحانه وتعالى رضوانه، وعفوه عن ذنوبنا وغفرانه لسيئاتنا، فإن تم هذا من ربنا وخالقنا وقبل توبة عبده فالخير لهذه القضية تابع من تيسير الأرزاق وصلاح الأهل والولد وراحة القلوب، ويحصل مع ذلك حب المؤمنين وصرف الظلمة والشياطين بدفاع أرحم الراحمين وأقدر القادرين.

اللهم اجعلنا من عبادك التائبين المخلصين، أهل التقوى واليقين آمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

[الإحسان يقطع اللسان]

ومن حكمه عليه السلام: **(الإحسان يقطع اللسان):**

الإحسان سبب في كل خير يكبر صاحبه في نفوس من أحسن إليهم يقول الوصي عليه السلام: (أحسن إلى من شئت تكن أميره) غير أنه لا يكون الإحسان كاسمه إحساناً إلا مع الإخلاص وإلا صار كشجرة بلا ثمر، ورمي بالقوس بلا وتر.

انظر فيمن يعطون وفي ظنهم أنهم يحسنون؛ طلباً منهم للثناء وجلباً لقلوب المساكين الضعفاء، فسرعان ما تنتهي تلك المدائح؛ لأنهم بنوا طريقتهم على غير أساس، فلا يَزْكُو وينمو إلا إحسان المؤمنين المخلصين، الطالبين بذلك رضا عالم الخفيات، فالله هو الذي يرفع ويضع ويعطي ويمنع.

انظر أين بلغ بأمير المؤمنين خاتمه، وكذلك إحسانه وأهل بيته إلى المسكين واليتيم والأسير طالبين بذلك عظيماً من الأمر وهو الأمان في يوم كان شره مستطيراً، ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾ [الإنسان].

نعم، قادني العنوان إلى هذه المقتطفات النفيسة والفوائد الثمينة، وإلا فالتوجيه فيها من الناطق بها سلام الله ورضوانه إلى قطع لسان الذام الشانئ أما الخصومة ورد السيئة بالسيئة فلا يزيد ذلك الساب إلا تمادياً في غيه وزيادة في بذاءة لسانه، فالشر لا يطفأ بالشر، والنار لا تطفأ بالنار، ولكن بالماء، كذلك الشر يطفأ بالخير.

فمن أخذ بهذه النصيحة الموجهة من سيد الوصيين فقد أخذها من عين صافية، أسأل الله أن ينفعنا بحكمه وأقواله، آمين رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله.

[لا معقل أحرز من الورع]

ومن حكمه عليه السلام: **(لا معقل أحرز من الورع)**:

أراد عليه السلام بالمعقل ما يحفظ فيه الأشياء من الأموال والسلاح والدواب وغير ذلك.

قوله: «أحرز» بمعنى أحفظ، لفت الأنظار عليه السلام بهذه الحكمة العظيمة والدرة الثمينة أن أحفظ الأشياء لمتاع الإنسان ولما في يديه هو الورع عن الحرام من الأموال والأعراض، فمن تورع عن ذلك فقد حفظ متاعه بحفظ الله الرقيب على كل شيء الذي جعل لكل مؤمن أولياء من ملائكته في هذه الدنيا، رحمة وعناية من الله بعباده الصالحين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [فصلت].

نعم، لما كان الدين والتقوى واليقين سبباً في كل خير من الراحة والحب في قلوب المؤمنين، وتيسير الأرزاق والعافية وصلاح الأهل والذرية ودفع كيد الأعداء والشياطين، فبالأولى أن يحفظ الله لك ما في يديك، ويسد الأبواب التي منها يخرج بل يضع في حياتك البركة وفيما ملكك، وقد أشار إلى ذلك المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ((من جعل الهم

هماً واحداً كفاه الله سائر الهموم، وأتته الدنيا وهي راغمة)).

أما من همهم جمع المال وسواء من حله أو من غير حله، فالبركة من أرزاقهم منزوعة، ولا عناية لهم ولما في أيديهم من خالقهم ورازقهم؛ لأنهم نسوا الله فنسيهم، وتركوا السبب في الحفظ وهو الورع فوكلهم إلى أنفسهم، فالتلف على ما في أيديهم مسلط بأي سبب من الأسباب.

نسأل الله بمنه وجوده أن يقنعنا بما رزقنا، وأن يجعلنا عن حقوق الخلق وأعراضهم متورعين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[لا صواب مع ترك المشورة]

ومن حكمه عليه السلام: **(لا صواب مع ترك المشورة):**

قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [الشورى:١٥٩]، أراد سلام الله عليه أن من ينفرد برأيه في كل أحواله لا بد وأن يفقد الصواب في بعض أموره، ومن كان كذلك فإنه مغرور بنفسه، معجب برأيه، فلا بد أن تزل به في بعض أحواله القدم، ويتجرع يوماً ما كأس الندم، فالعاقل لا يترك مشورة أصحاب العقول الزكية والأخلاق المرضية، وكما قيل: «في كل رأس حكمة»، ولا ينبغي الاقتصار في المشورة لا سيما في الأمور المهمة على واحد ولا على اثنين، فمن استشار الرجال شاركها في عقولها.

وينبغي أن يستشير الإنسان أصحاب العقول كلاً على حِدَة، فإذا اتفقت أراؤهم فالخير كل الخير في ذلك الاتفاق ولو خالف هواه، وإن اختلفت فعليه بالذي فيه سعة من الوقت وأناءة وسيظفر بحظه إن شاء الله.

وعلى المؤمن أن لا يترك الاستخارة في كل أموره، يقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ((من سعادة المرء كثرة الاستخارة، ومن شقاوته تركه للاستخارة)).

نعم، قد يستشير الإنسان فينصحه الناصح بخلاف هواه وبغير ما قد أبرم أمره عليه عند ذلك يقع في الحيرة فإن ترك النصيحة فاسمه مغامر، قال أمير المؤمنين لولده عليهما السلام: (واعلم أن الوقوف عند حيرة الضلال خير لك من ركوب الأهوال)، ففي التأني السلامة وفي العجلة الندامة، فكم من تارك للمشورة أو النصيحة منفرد برأيه عفر خده بين التراب، وكم من عاقل قبل النصيحة بعد المشورة أدرك حظه وأصاب رشده، قال سيد الوصيين: (من حذرك كمن بشرك).

نسأل الله السداد في جميع أحوالنا، من أمر ديننا ودنيانا، بحق محمد وآله، اللهم صل وسلم عليه وآله الطاهرين.

[من كثر فكره في العواقب لم يشجع]

ومن حكمه عليه السلام: **(من كثر فكره في العواقب لم يشجع):**

صدق سلام الله عليه، من تدبر عواقب المشاكل صبر، ومن صبر ظفر، وقد حث على التدبر لعواقب الأمور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، انظر فيمن لم يتدبر لعواقب الأمور وأقدم على ما لا يحمد عقباه من قاتل لنفس بغير حق حمل نفسه ما لا طاقة له به من خوف في الدنيا وعذاب في الآخرة، عائش تحت ظل بيته أو في سجن من السجون، أهل بيته نالهم الحرمان من بعض متطلبات الحياة، حمّل أقاربه ما لا يقدر قدره من الهموم والغموم، يتناول وجبته ويذكر مصيبته، فتحول بينه وبين لذته بلقمة العيش، يعيش والده إن كان أو أخوه أو ولده ذليلاً، الناس يتهنأون بنومهم، وهو يفكر أين المخرج مما وقع فيه من الورطة، ومن عسى أن ينفعه وإن كان هناك من ينفعه فخصمه لدود إن فكر في توبة فمن يجرؤ على بذل رقبته وبذل مهجته، وإن فكر في بقائه في بيته متخفياً أو في سجنه ضاقت عليه الأرض بما رحبت، فالهم حليف قلبه، وكل ذلك أنه لم يتدبر العواقب، ولم يقبل في ذلك الحين نصيحة ناصح، ورطه شيطانه وهواه في دنياه وآخرته.

فالمؤمن صمته فكر ونطقه ذكر، والسعيد من تفكر في عواقب الأمور فعمل لآخرته من الأعمال الصالحة ما يصرف الله به شر دنياه ويثيبه الله عليه في آخرته، وصاحب في هذه الدنيا أهل العلم والحكمة، وجانب أهل الغي والضلال، ولقن أولاده نصائح التأني

وأفعال الخير من بر الوالدين، وصلة الرحم ورحمة الضعيف، وقضاء حوائج المستضعفين، والمحافظة على الصلوات وفعل الواجبات.

نسأل الله السلامة من مضلات الفتن، ونستعيذ به من المصائب والشرور والفتن، إنه على كل شيء قدير، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[المسؤول حر حتى يعد]

ومن حكمه عليه السلام: **(المسؤول حر حتى يَعِدُ):**

حذر عليه السلام بهذه الحكمة من خلف الوعد، وأخبر عليه السلام أن المسؤول حر حتى يعد، أما إذا قد وعد فعليه أن يفي بوعده؛ لأن خلف الوعد من شيم الكَذَبَة السفلة، ولأن خلف الوعد من علامات النفاق، ولأن الله قد أخذ على المؤمن فيما حمله من الأمانة أن يفي بوعده، فلا ينبغي لمؤمن أن يعد إلا ويفي بوعده، وأن لا يتساهل بالوعد ولا يخلفه إلا لعذر يكون مقبولاً إذا عرضه عند أزكى الناس وأتقاهم، وسواء في ذلك من وعد ليعطي أو وعد ليأخذ، معنى يأخذ إذا أحد ضيفك فوعدته فعليك الوفاء وترك الأعذار الباردة، فخلف الوعد يدخلك في اللوم، وقد كنت في حِلٍّ قبل الوعد.

وعليك أن تلتزم بما رضيت به للواسطة بينك وبين خصمك، فإذا أبيت فقد أخلفت وعدك، وكذلك ما وعدت غيرك به من القرض أو أي منفعة فعليك الوفاء وإلا شملك الذم.

فالمؤمن في هذه الأمور وغيرها حرّ -كما قال عليه السلام- قبل الوعد، وإذا تكرر من أحد المؤمنين خلف الوعد فقد وسم نفسه بخليقة لا يرضاها له أحد من الصالحين، والسيئة سيئة وهي من بيت العز أسوأ.

فعلى طلبة العلم خاصة والمؤمنين عامة أن يترفعوا ويتنزهوا عن خلف الوعد، فلا يليق بهم إلا الوفاء والصدق، ألا تسمع لمقالة المتقين: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان]، وإذا وعد وهو من أهل النسيان فعليه أن يخبر من يذكره وإن كان النسيان عذراً، فلا يترك الاحتياط كي لا يوسم بخلف الوعد، وقد جرب أغلب الناس خلف الوعد من غيرهم وأن الإنسان يفاجأ به من الغير.

اللهم ارزقنا الصدق والوفاء بالوعد وأقل عثراتنا، وصل وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[الحرمان مع الحرص]

ومن حكمه عليه السلام: **(الحرمان مع الحرص):**

من اتعظ بها فقد أخذها من عين صافية، فالكرم سبب قوي في جلب الخير، الله هو الذي وعد ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ:٣٩]، وفي دعاء الملك: «اللهم أعط منفقاً خلفاً، وممسكاً تلفاً».

فمن عود الله سبحانه من نفسه رحمة الضعفاء وإكرام الأتقياء فإن الله لا يضيع أجر المحسنين، الكريم مرحوم في سماء الله وفي أرضه، ولا ينبغي لمؤمن أن يتكلف ما ليس له به طاقة، ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق:٧]، وفي الحديث: ((اتقوا النار

ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة))، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [المزمل:٢٠].

نعم، الله سبحانه وتعالى يجلب للإنسان بإحسانه الخير الكثير، ويصرف عنه من المصائب الشر الكثير، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((يا علي، عليك بصنائع الخير فإنها تقي مصارع السوء))، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((داووا مرضاكم بالصدقة)).

مع ما في قضاء حوائج المؤمنين من الأجر، وكذلك إدخال السرور وأنه من أوجب المغفرة، وأفضل الخير ما يعطيه الإنسان لأهله وأرحامه ثم جاره، ثم الضعفاء والمساكين من سائر المؤمنين مع ما في إكرام العلماء وطلبة العلم الشريف من الفضل العظيم والثواب الجزيل.

نعم، قول الوصي عَلَيْهِ السَّلَامُ: (الحرمان مع الحرص) أما الثواب فلا إشكال وهو الخسارة التي لا تعوض، كيف وثوابها أبدي، وما يعطي عليها أكرم الأكرمين في جنات النعيم سرمدي، وفي الدنيا الثناء والدعاء والخلف، فكم دعوة لضعيف يجلب بها المعطي كل خير، فلنحذر جميعاً البخل المذموم شرعاً وعقلاً ولا نصدق الشيطان في توعده، ولنصغي لوعد الله فهو أصدق الصادقين وأقدر القادرين.

اللهم ارزقنا التصديق واليقين، ووفقنا يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[الجزع عند البلاء تمام المحنة]

ومن حكمه عليه السلام: **(الجزع عند البلاء تمام المحنة):**

ومن كتم الجزع بالصبر فاز بالحضين معاً، هانت عليه البلية، وظفر بالأجر الكبير والخير الكثير.

نعم، يقول عليه السلام في حكمة أخرى: (الصبر أهون من الجزع) فعلى المبتلى أن يصبر نفسه ويسليها بما وعد الله الصابرين ويكثر من ترداد: «إنا لله وإنا إليه راجعون».

وعلى المؤمن الذي له علاقة بربه أن يدعو ربه قبل حصول البلية أن يرزقه الصبر عند البلاء والشكر عند النعماء.

هذا، واعلم أن الذي يهون على المؤمن المصائب والبلاء ذكر الموت وما بعده، فمن أكثر من ذكره فإنها تهون عليه المصيبات، وقد ذكر الله في الرخاء وسيذكره الله في الشدة، وفي الواقع أن الجزع عند المصيبة من شيم الحمقى الجهلة، الذين ليس لهم صلة بربهم، وليس لهم حظ من علم، ولا صلة بمجالس الذكر، ولا ارتباط بأهل العلم والتقوى واليقين، فإذا وقعت عليهم نائبة قاموا لها وقعدوا يلطمون وجوههم ويحثون بالتراب على رؤوسهم، يظهرون ذلك لمن وفد يعزيهم لأجل أن يشهدوا لهم بالضيم، ولا يعلمون أن ذلك الصنيع يحبط حسناتهم، ويزيدهم هماً إلى مصائبهم، وكل ذلك نتيجة الجهل المذموم؛ لأنهم لم يسمعوا ما وعد الله الصابرين من الأجر، فلم يقرأوا بحضور قلب قول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ

صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴿١٥٧﴾ [البقرة].

اللهم ارزقنا اليقين والصبر عند كل مصيبة وبلية يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[نعمة الجاهل كروضة على مزبلة]

ومن حكمه عليه السلام: **(نعمة الجاهل كروضة على مزبلة):**

الروضة: البستان المتضمن لكثير من الأشجار الخضراء، والمزبلة: هي محل الكناسات التي قد جمع فيها الكثير من القمائم والأوساخ.

لفت النظر سلام الله عليه في هذه الحكمة إلى حال الجاهل الغني وإلى ما في يده من الحطام، وشبه نعمته بالأشجار الخضراء المورقة والمثمرة التي يراها الناظر ويطرب لها، غير أنها تمتص الأوساخ والقاذورات بعروقها، وتجذبه إلى ثمرها وورقها، فمن علم أنها كذلك استقذرها وكرهها.

كذلك الجاهل هو في نفسه أعمى لا يدري متى أصاب ومتى أخطأ، فهو بما في يده كذلك يعطي من لا يستحق العطاء، ويمنع أهله وقرابته والمساكين والضعفاء، ويتبذر إذا أنفق، ويرائي إذا أعطى، يعين بما في يده الظلمة والأشرار، ويستصغر بسبب غناه وجهله الأتقياء الأبرار، يغري الكثير ويقودهم إلى درجة السفلة، كلامه مسموع بين أمثاله من السقط، لا يوجد له قدر في قلب أحد من الأتقياء، كونه جاهلاً مصيبة عظمى، وغناه ببعض حطام الدنيا مصيبة أخرى.

نعم، الطيور على أشكالها تقع، فعلى العاقل اللبيب عندما يسمع هذه الحكمة أن ينظر من الذي نطق بها وصاغها، ويفكر فيما تضمنته من الذم للجهلاء وما في أيديهم، وبعدها يترفع عن درجة الجهال إلى درجة طلبة العلم ومجالس الذكر التي رفع الله أهلها وقال في شأنهم عز شأنه: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١].

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

[لا مرض أضنى من قلة العقل]

ومن حكمه عليه صلوات رب العالمين: **(لا مرض أضنى من قلة العقل):**

الأمراض أنواع متعددة أعظمها ما يؤدي بحياة الإنسان إلى الموت، وأعظم من هذا الداء الذي أودى بحياة صاحبه هو قلة العقل.

صاحب العقل الخفيف يعيش في واد وبقية الأحياء في واد آخر، لا يقبل نصيحة ناصح، ولا يرعوي لمشورة أحد، تقول له في وضح النهار: إنه نهار، ويريد أن يقنعك أنه ليل، يعظم الحقير بفكرته، ويصغر العظيم بنظرته، ومن البلية والقاصمة للظهر أنه يلقى من أمثاله كما قيل: «وافق شن طبقه» فحاله كما قال الشاعر:

أوردها سعد وسعد مشتمل ... ما هكذا تورد يا سعد الإبل

فصدقت يا أبا الحسن صلوات الله عليك، ما أحلى الشربة الباردة عند الظمآن، إذا رأيت من يصر على رأيه ولا يرعوي لمشورة

ناصح فاقطع ثم اقطع أنه من هذا الصنف، ومن هنا اتضحت حقيقة العاقل أنه الذي يشاور ولا يكتفي بنفسه في الأمور المعضلات، ولا يزكي نفسه في وقت من الأوقات، ضالته المنشودة الحكمة، وسلعته المعروضة الرحمة، حَسِين الخلق لا يتهاون بأحد من إخوانه المؤمنين، يباين الحمقى ويستشير العقلاء، إخوانه أهل الدين وإن نأت بهم الديار، وأعداؤه الفسقة ولو كانوا أرحاماً أو جيراناً، قلبه معمور بالهدى، قد براهم الخوف بري القداح، يلفتون أنظارهم ويعون بأسماعهم إذا سمعوا قال الله أو قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

اللهم زك عقولنا، واغفر زلاتنا يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

الفهرس

[تقديم السيد العلامة المجتهد محمد بن عبدالله عوض]............ ٣
[تقديم]... ٤
قسم الآيات القرآنية ٦
﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ٧
﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ۝٢ .... ٨
قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا.......... ١٢
الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ١٤
ويقول الله تقدست أسماؤه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ١٦
﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا ١٩
﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى..................... ٢١
يقول الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ٢٣
قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ۝١٠٢﴾ ٢٤
قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ٢٧
﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ٢٨
﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ....... ٣٠
قال الله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ٣٥
﴿كهيعص۝١ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا۝٢ .... ٣٩
قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ... ٤٢
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ ٤٤

قال تعالىٰ: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ ٤٥
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا ٤٧
﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ ٥٠
قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴿١٠٧﴾ ٥٢
قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ٥٥
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا ٥٧
﴿الْقَارِعَةُ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴿٣﴾ ى ٥٨
قال الله تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ ٦١
﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا ٦٤
قال الله تعالىٰ: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ٦٦
يقول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ.................. ٦٩
قال الله تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ ٧١
﴿وَالْفَجْرِ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴿٤﴾ ٧٣
﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ....... ٨٠
قال الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا................ ٨٣
قسم الأحاديث النبوية ٨٧
[الناس كلهم هلكى..الحديث] ٨٨
[أفضل الأعمال].. ٩٠
[الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]............................. ٩٤

[صلاح ذات البين]..٩٧
[التحذير من الأيمان الفاجرة]................................٩٩
[أولياء الله]..١٠١
[ثلاث من كن فيه..الحديث]................................١٠٣
[نعم الدنيا]..١٠٦
[البلاء على المؤمن]..١١٠
[ما في جلوس المصلي بعد صلاة الفجر في مصلاه]............١١١
[الاستخارة]..١١٣
[التواصل بين المؤمنين]....................................١١٤
[بعض صفات المؤمنين]......................................١١٦
[كف أذى اللسان واليد].......................................١١٩
[أهل بيتي كالنجوم]..١٢٠
[ابن آدم في الدنيا ضيف وما في يده عارية]..................١٢١
قسم الحكم العَلَوِيَّة...١٢٣
[ما قال الناس لشيء طوبى له...]............................١٢٤
[الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا]..............................١٢٥
[مصيبة يكتب الله لك أجرها...]...............................١٢٦
[إذا كان الطمع هلاكاً فاليأس إدراك]..........................١٢٧
[عند الصباح يحمد القوم السرى]..............................١٢٩
[التفكر حياة قلب البصير...]...................................١٣٠

[كثرة الوفاق نفاق]........................ ١٣٢
[فراسة العاقل كهانة]........................ ١٣٤
[إذا كان الرفق خرقاً فالخرق رفقا] ١٣٥
[حفظك لما في يديك خير لك من صبر الناس عليك] ١٣٦
[نوم على يقين خير من عبادة على شك]........... ١٣٧
[حاسب نفسك لنفسك] ١٣٩
[الفائزون بها غداً الهاربون منها اليوم]........... ١٤٠
[الغنى والفقر بعد العرض على الله] ١٤٢
[من حذرك كمن بشرك]........................ ١٤٤
[ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه] ١٤٥
[البخل جامع لمساوئ العيوب] ١٤٦
[المرء مخبوء تحت لسانه]........................ ١٤٧
[من عذب لسانه كثر إخوانه] ١٤٩
[ما هلك امرؤ عرف قدره]........................ ١٥٠
[من عرف نفسه فقد عرف ربه] ١٥١
[بشر مال البخيل بحادث أو وارث]........................ ١٥٢
[الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق] ١٥٤
[التجربة لقاح العقل] ١٥٥
[لا شفيع أنجح من التوبة]........................ ١٥٦
[الإحسان يقطع اللسان] ١٥٧

[لا معقل أحرز من الورع].. ١٥٨
[لا صواب مع ترك المشورة].. ١٥٩
[من كثر فكره في العواقب لم يشجع] ١٦١
[المسؤول حر حتى يعد] ١٦٢
[الحرمان مع الحرص] ١٦٣
[الجزع عند البلاء تمام المحنة] ١٦٥
[نعمة الجاهل كروضة على مزبلة] ١٦٦
[لا مرض أضنى من قلة العقل].. ١٦٧
الفهرس ١٦٩